# أساليب الشعراء
# في التعبير عن الكرم
# دراسة تحليلية موازنة

**دكتور**

محمد محمود يوسف البهلول

**أستاذ البلاغة والنقد المساعد في جامعة الأزهر**

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**لما كانت الأمة العربية "مفطورة على البلاغة ومجبولة على حبها والعمل بمقتضياتها، وكان الشعر ديوان بلاغتهم، وسجل فصاحتهم، ومستودع ثمار عقولهم وقرائح أذهانهم، ورياض أفكارهم، وميدان إبداعهم وإمتاعهم، ومجال تأنقهم وتألقهم، فكان ديوانهم هذا في حاجة إلى دراسات واسعة جادة وبحوث أمينة تظهر ما فيه من روائع الفكر، ونواصع التركيب، وجودة الأساليب، وغرر التصوير، وبراعة التحبير.**

**وهذه الأمور تعتبر أقطابا للبلاغة العربية، تكونت منها، انبنت عليها، وقامت لها وبها، ودرست من خلالها.**

**وهذه الخصائص لا يخلو منها شعر عصر من العصور، مع تفاوت واضح في مستوى الأداء وطريقة التعبير والتصوير، وإن كانت أشعارهم – وهم العرب تقدم زمانهم أو تأخر – ناضحة وكاشفة عن سمو في التفكير، ورقى في التعبير، وتأنق في التصوير، وكاشفة عن بلاغة أصيلة تشوق وتروق، ولما كان الشعر كذلك كان دائما وأبدا في حاجة إلى أقلام جادة مستنيرة، تكشف عن جوهر البلاغة في هذا التراث الأصيل.**

**ولما كانت الأشعار قديما وحديثا من الكثرة بحيث لا يحدها حاد، ولا يعدها عاد، لأنها أنفاس، وأنفاس الناس لا يأتي عليها الحصر كما ذكر الميداني "في مجمع أمثاله"[١]، رأيت أن أتتبع جانبا فريدا، وخلقا رشيدا**

---

[١] . مجمع الأمثال للميداني النيسابوري ١/١ت: محمد محيى الدين عبد الحميد: دار المعرفة – بيروت، لبنان.

**اجتمع عليه الناس، متقدمهم ومتأخرهم، وأعلوا من شأنه، فكان له عندهم ذكر وقدر، حمدوا كل من اتصف به، ومدحوه في غرر كلامهم، فصار له ذكر في الأولين، وثناء في الآخرين، لما اتصف به من هذا الخلق الكريم.**

**إنه خلق الجود والسخاء، والكرم والعطاء، والسماحة والبشاشة، والتهلل والهشاشة التي تعد خلقا بارزا من الأخلاق العالية التي عشقها العرب في مختلف عصورهم، وتنوع أقطارهم.**

**والأمة العربية ـ من غير تعصب وانحياز ـ أمة كرم، بل هي من أكرم الأمم طبعا، وأعلاها خلقا، وأزكاها نفسا، وأرقاها حسا وأدقها فكرا، وأسماها ذكرا، وأرقها طبعا، وأسماها ذوقا، وأحسنها شعورا، وأقواها عاطفة، وأعلاها إحساسا، ومن اجتمعت فيه هذه الخصال كانت المكرمات عندهم في الذروة، يعشقون سناها، ويأملون القرب من حماها.**

**وإذا تأملت واقع العرب في العصر الجاهلي وجدت أن صفة الكرم حلت في نفوسهم محلا مكينا، فهي شرف من لا شرف له، وذكر من لا ذكر له، وحسب من لا حسب له، ترفع صاحبها إلى حيث يشار إليه بالبنان، ويصير ذكره على كل لسان، فتسابق في هذه المكرمة أقوام، وتنافس فيها الفئام، وتبارى فيها الأجواد، وتناظر فيها الأسياد، حتى بز فيها أناس اقترن الجود بذكرهم، منهم أكرم العرب حاتم الطائي، ومعن بن زائدة، ومعد بن عدنان وآخرون وآخرون...**

**ونجد مثل هذا وزيادة في العصور التالية (العصر الإسلامي والأموي والعباسي)، ولا غرو فقد زكى الإيمان قلوبهم، وهذب نفوسهم فصارت الدنيا أهون من أن يطمعوا في حطامها، أو يتنازعوا في رغامها،**

بل بذلوا النفس والنفيس، والغالي والرخيص جهادا وجلادا، وحبا واستشهادا، وطمعا في الكرامة، وتجنبا للشح والملامة، فظهر الكرماء الأجاويد الذين خلد التاريخ ذكرهم علي ألسنة الشعراء، الذين يرصدون الواقع بكل ما فيه.

ومن ثم اخترت هذا الخلق النبيل ليكون مجالا للدراسة والتحليل، ومما زاد في همتي، وقوي من عزيمتي لدراسة هذا الموضوع أني وجدت عند الشعراء في التعبير عن هذا الخلق الكريم العجب العجاب، الذي تحار معه الألباب، فوجدت صنوفا في التعبير وألوانا، ورأيت في التصوير أفياء وأفنانا.

ولمست في شعرهم الكرم السابغ، والجود الرابغ، وحبهم الوامق للمعروف، وكلهم به مشغوف، وجدت ندى وسماحا، وحبا وارتياحا، وإيناسا للضيف وتهللا، وكرما يفوق السحاب، فالسحاب يعطي مع تجهم واستعبار، والكريم يعطي في تهلل واستبشار، وجدت كرما يجعل الحر عبدا لضيفه، وما أحلاها من عبودية تجعل صاحبها سيد الأسياد، وتجعل الضيف صاحب البيت.

رأيت سخاء يجعل الكريم يبذل شبابه وخيله يوم الوغى، ولا يتوانى في بذل روحه إن سئلها، ولا يبخل في تشطير عمره للضيف، ويجود بكرى عينيه للضيف الطارق ويظل ليله سهدا ومؤرقا، ويمنحه فرشه ويفترش الثرى، ويؤثره على نفسه في طعامه ويصبر على الطوى، رأيت أناسا لا تعرف الدراهم صرتهم، ولا تألف أكياسهم، وأناسا بلغوا العزة القعساء في الجود والسخاء، ولو جاز أن يقعدوا فوق الشمس لقعدوا، وأناسا يبددون أموالهم تبديد الهاذي المحموم، ويفتكون بها فتك الصبابة بالمحب المكلوم،

**وأناسا يجودون علي الأعداء فيجعلون نصال سهامهم من النضار [العسجد] ليتداوى جرحاهم، ويكفن موتاهم، وأناسا قبر الجود معهم ومات بموتهم، وعاش الناس في معروفهم، وأناسا لو لم تثن عليهم الألسنة، لنطقت بها الأزمنة، وأناسا يبذلون فلذات أكبادهم إكراما لضيوفهم، وأناسا أغنياء لا تجب الزكاة في أموالهم، وأناسا رضي الجود أن يكون عبدا لهم، وطوع أيديهم، وأناسا عاشوا في الدنيا بلا آمال، وأي شيء يأملونه وقد غرقوا في بحار الإحسان والإفضال؟ ورأيت نصائح صادقة، وإرشادات رائقة إلى التعلق بأهداب السخاء، فالدهر حُوَّل قُلَّب، والعمر رحال.**

**فلما وقعت عيني علي هذه الطرائف العجيبة، والفنون البديعة في ميادين الكرم، وقد صاغها الشعراء في أساليب شائقة، وتعبيرات رائقة، تجذب وتخلب، وتأسر وتسحر بتصويراتها البارعة، وتركيباتها الرائعة، رأيت أن أتتبع هذا الخلق العربي في شعر الشعراء في مختلف العصور، وهذا العمل وإن كانت تهي دون إتمامه العزائم، وتنقطع دونه الأنفاس لكثرته، فهو يحتاج إلي حشد من الباحثين، لإظهار هذه الأفانين، إلا أنني رأيت أن أقف على المشتهر منها، والشائع علي ألسنتهم، والكاشف عن كرمهم، وفي المذكور غنية عن المتروك، لتشابه الأفكار واتحادها، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق.**

**كان يكفي أن أتناول هذه الظاهرة عند شاعر واحد من أي عصر، وهذا يكفي في إقامة لبنات البحث إلا أنني رأيت أن معالجتها عند شاعر واحد لا يقفنا علي جمال هذه المكرمة، ولا نستطيع أن نكشف عن مخايلها وملامحها كشفا كليا إلا بدراستها عند شعراء عدة وفي عصور مختلفة،**

**لتنوع طرائقهم في التعبير عنها، وهذه الأشعار التي أقمت دراستي حولها وإن كانت بمثابة المتروك أقل من أن تمثل غيضا من فيض، وبرضا من عدّ، وذرة في دهماء، وخيطا في زرقاء إلا أنها استطاعت أن ترصد جمال هذه الظاهرة، وأنها كانت تمثل واقعا محبوبا في كل العصور.**

**ثم إن هذه الشواهد الانتقائية تفتح للدراسة باب الموازنات وخاصة إذا اتحدت الفكرة، وتشابه الغرض الجزئي وإن كان يضم هذه الأغراض الجزئية في النهاية غرض السخاء الكلي، أما الاكتفاء بشاعر واحد أو عصر واحد فيفوّت علينا الجزم بأن هذا الخلق كان نسيم أرواح العرب في كل العصور، وكان دماء شرايينهم، مما يجعلنا نقرر في صدق ويقين بأن الكرم من مكارم الأخلاق العربية التي ألفوها وعرفوها، وطرقوها وعشقوها.**

**ومن ثم جاء هذا البحث تحت عنوان "أساليب الشعراء في التعبير عن الكرم دراسة تحليلية موازنة.**

**والبحث شواهد شعرية مختارة من كل العصور، ومنتقاة لعديد من الشعراء، ومعلوم أن الشاعر يمثل عصره، ويكشف عن مخايل بيئته، فسرت مع هذه الشواهد أضع اللفق مع لفقه، والنظير مع نظيره في تشابه الفكرة الجزئية، أو اتحاد الصورة، وجعلت هذه الشواهد في ستة عشر مبحثا، كل مبحث يضم أبياتا متشابهة في الفكرة وطريقة الصياغة، ثم درستها دراسة تحليلية نظرت فيها إلي طبيعة السياق وظروف الحال ووقفت فيها مع الكلمة بأنواعها وكيفية صياغتها ومدى إسهامها في**

**التعبير عن فكرة الشاعر، ووقفت علي التصوير وبينت أثره في إظهار الفكرة، وحكمت عليه انطلاقا من طبيعة الحال والمقام، هل كان سديدا في سياقه، أو تنكب طريق السداد.**

**ولم آل جهدا في تطبيق المقاييس النقدية البلاغية للحكم علي جودة التصوير والتركيب، ثم عقدت موازنات بين هذه الأبيات إن اقتضى الأمر ذلك، وكانت الموازنة منظورا فيها إلي صوغ العبارات واختيار الكلمات وجودة التصويرات وهذه أمور تحمدها البلاغة العربية، ولها كبير وزن في الدراسات التحليلية التي تظهر جمال البلاغة المنشود وتكشف عن روائها المفقود وتعود بنا إلي سالف عصرها، عصر الجاحظ، والقاضي الجرجاني، والآمدي، وابن رشيق، وابن الأثير حينما كانت البلاغة تحليلا وتعليلا، وتذوقا أصيلا، وليست قواعد جامدة، وتعقيدات هامدة.**

**فالله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن يمن على صاحبه بالفيض العميم في الدنيا والآخرة وأن يجعله صدقة جارية ما بقي الناس، وترددت الأنفاس على أبويّ وأجدادي، وروح فؤادي عمّي، ومن شاركتني كلماته سهرا وأرقا، وعطاء غدقا، بلغ الله بالأحياء منهم أكلأ العمر، ووهبهم صدقا في الدين، وقوة في اليقين وسلامة في البدن، ورزق الأموات منهم الفردوس الأعلى من الجنة إنه علي ما يشاء قادر.**

**المدينة المنورة على ساكنها أفضل السلام وأزكى التسليمات.**

**جوار الحرم النبوي**

**الحرة الشرقية ليلة الجمعة الموافقة الرابع والعشرين من شهر جمادى الأولي ألف وأربعمائة وأربعة وثلاثين من الهجرة.**

## التمهيـــــــد

**آثرت أن أعرض في التمهيد الأبيات الشعرية التي قامت حولها هذه الدراسة؛ لتكون مرآة ساطعة تكشف عما ذكر في صفحات البحث، فإليك :**

**قال ربيعة الرقي"[١]":**

**شَتّانَ ما بين اليزيدين في النَّدي ☆☆☆ يزيدَ بنَ عمرو والأغرِّ بن حاتم**

**فهَمُّ الفتى الأزدي إتلافُ ماله ☆☆☆ وهَمَّ الفتى القيْسي جَمعُ الدراهم**

**فلا يحْسَب القيسيُّ أنّي هجوتُه ☆☆☆ ولكنّني فضّلتُ أهلَ المكارم**

**قال أبو نواس"[٢]" :**

**جُدتَّ بالأموال حتَّى ☆☆☆ قيل ما هذا صحيح**

**قال أبو تمام :**

**ما زال يَهْذي بالمواهب دائبا ☆☆☆ حتَّى ظننَّا أنَّه محموم**

**قال أبو نواس"[٣]":**

**كلُّ جُود يا أميري ☆☆☆ ما خَلا جودَك ريحُ**

**إنّما أنتَ عطايا ☆☆☆ أبدًا لا تستريحُ**

---

[١] – الأبيات في موسوعة الشعر الإسلامي ١/١٢ جمع علي بن نايف الشحود.

[٢] – ديوان أبي نواس ١٩ دار صادر بيروت.

[٣] – الأبيات في الديوان ١٦٩.

**صُوّر الجودُ مثالا ☆☆☆ فلَه العباسُ رُوحُ**

**بُجّ صَوتُ المال مما منك يشكو ويصيح**

**قال أبو نواس :**

**جادَ بالأموال حتّى ☆☆☆ حسبوه الناس حُمْقا"[١]"**

**قال أبو تمام :**

**تَكادُ عَطاياه يُجَنُّ جنونُها ☆☆☆ إذا لم يُعَوِّدْها برُفْيَة طالبِ"[٢]"**

**قال شمس الدين البديوي"[٣]":**

**إذا المرء وافى منزلا منك قاصدا ☆☆☆ قراك وأرمته إليك المسالك**

**فكن باسما في وجهه متهللا ☆☆☆ وقل مرحبا أهلا ويوم مبارك**

**وقدم له ما تستطيع من القرى ☆☆☆ عجولا ولا تبخل بما هو هالك**

**فقد قيل بيت سالف متقدم ☆☆☆ تداوله زيد وعمرو مالك**

**بشاشة وجه المرء خير من القرى ☆☆☆ فكيف بمن يأتي به وهو ضاحك**

---

[١] – في رواية الديوان "جاد إبراهيم حتى...جعلوه الناس حمقا ص٤٦٤.

[٢] – الديوان ٣٣.

[٣] – الأبيات في المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي ٤٩٨/١– دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ١٤٠٣ / ١٩٨٣م.

**قال زهير"[١]":**

**تَرَاه إذا ما جئتَه متهلِّلا كأنَّك تُعطيه الذي أنتَ سائلهْ**

**قال الشافعي"[٢]" :**

**وإنْ كثُرتْ عيوبُك في البرَايا ☆☆☆ وسرَّك أن يكونَ لها غِطاءُ**

**تستَّرْ بالسَّخاء فكلُّ عَيْبٍ ☆☆☆ يُغطِّيه كما قيل السخاءُ**

**قال الآخر"[٣]" :**

**وعدّ من الرحمنِ فضلًا ونعمةً ☆☆☆ عليك إذا ما جاءَ للخيرِ طالبُ**

**ولا تمنعنّ ذا حاجةٍ جاء راغبا ☆☆☆ فإنَّك لا تدري متى أنت راغبُ**

---

[١] – شرح ديوان زهير لثعلب / ت.د. حنا ناصر الحتى – دار الكتاب العربي بيروت لبنان ١٤٢٤/ ٢٠٠٤م.

[٢] – البيتان في ديوان الإمام الشافعي ١٠ / إعداد محمد إبراهيم سليم – مكتبة ابن سينا.

[٣] – نسب أبو علي القالي في آماليه البيتين إلى أبي الأسود الدؤلي يراجع الأمالي لأبي علي القالي، ت/ محمد عبد الجواد الأصمعي: دار الكتب المصرية ط: الثانية، ١٣٤٤ هـ – ١٩٢٦م، وذكرهما الأبشيهي في مستطرفه من غير نسبة ١٦٦/١.

**قال عليّ"[١]"**

**إذا جادتِ الدنيا عليك فجُدْ بها ☆☆☆ على الناسِ طُرا إنَّها تتقلَّبُ**

**فلا الجُود يُفنيها إذا هي أقبلتْ ☆☆☆ ولا البُخل يُبقيها إذا هي تذْهبُ**

**قال حاتم الطائي لزوجته"[٢]" :**

**أماوِيُّ إنَّ المالَ غادٍ ورائحُ ☆☆☆ ويَبقَى من المال الأحاديثُ والذِّكرُ**

**أماويّ إنِّي لا أقول لسائلٍ ☆☆☆ إذا جاءَ يوماً حلّ في مالنا نزْرُ**

**أماويّ ما يُغْني الثراءُ عن الفتى☆☆☆ إذا حشْرَجتْ يوما وضاقَ بها الصدرَّ**

**قوله أيضا"[٣]":**

**سَلِي الطَّارقَ المُعْترَّ يا أمَّ مالكٍ ☆☆☆ إذا ما أتاني بين ناري ومَجْزَري**

**أأبسُطُ وجهي إنَّه أول القِرَى ☆☆☆ وأبذُلُ معروفي له دون مُنكِري**

**قال الآخر"[٤]":**

**اللهُ أعطاكَ فابذُلْ من عطيَّته ☆☆☆ فالمالُ عاريةٌ والعمرُ رحَّالُ**

---

[١] – الأبيات في ديوان الإمام علي ٣٨– ت – نعيم زرزور – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – ط١ ٢٠٠٣هـ/١٤٢٣م.

[٢] – الأبيات في ديوان حاتم الطائي ٢١٠ – ت / د / عادل سليمان الجمل – مطبعة المدني.

[٣] – الأبيات في الديوان ٣٠٠.

[٤] –موسوعة الشعر الإسلامي ١/١٢.

**المالُ كالماءِ إنْ تُحْبَسْ سَواقِيه☆☆☆ يأسَنْ وإن يَجْرِ يَعْذُبْ منه سَلسالُ**

**قال الشاعر"[١]:**

**إنَّ الكريمَ الذي لا مالَ في يدِه ☆☆☆ مِثْلُ الشُّجاعِ الذي في كفِّه شَلَلُ**

**والمالُ مثلُ الحَصَى ما دام في يَدِنا ☆☆☆ فليسَ يَنفعُ إلا حين يَنْتقلُ**

**قال زهير "[٢]":**

**تَرَاه إذا ما جئتَه مُتهلِّلا ☆☆☆ كأنَّك تُعطيه الذي أنتَ نائلُهْ**

**ولو لم يكنْ في كفِّه غيرُ رُوحه ☆☆☆ لجادَ بها فليتَّقِ اللهَ سائلُهْ**

**قال مسلم بن الوليد"[٣]:**

**يَجودُ بالنَّفسِ إذا ضَنّ البخيلُ بها ☆☆☆ والجودُ بالنَّفسِ أقصى غايةِ الجودِ**

**قال البحتري "[٤]":**

**ماضٍ على عزْمِه في الجُّودِ لوْ وَهبَ الشَّـ ☆☆☆ ـبابَ يومَ لقاءِ البِيضِ ما ندِما**

**قال المتنبي "١":**

---

[١] – البيتان في جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي ٢/ ٤٨٠ات / مؤسسة المعارف، بيروت.

[٢] – ديوان زهير ٩٢ شرح علي حسن فاتور – المكتب العلمي – بيروت لبنان ١٤٠٨ / ١٩٨٨م.

[٣] – ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ١/ ١٠٤الناشر: دار الجيل – بيروت.

[٤] – ديوان البحتري ٢٠٤٦/٣ – ت / حسن كامل الصيرفي ط٣ – دار المعارف.

**كريمٌ متى اسْتُوهِبْتَ ما أنتَ راكبٌ ☆☆☆ وقدْ لَقِحَتْ حَرْبٌ فإنَّك نازلُ**

**قال الشاعر"[٢]" :**

**أُضاحِكُ ضيْفي قبلَ إنزالِ رَحْلِه ☆☆☆ ويَخْصُبُ عندي والمحلُّ جديبُ**

**فما الخِصْبُ للأضيافِ أنْ يَكْثُرَ القِرَى☆☆☆ ولكنَّما وجْهُ الكريمِ خصيبُ**

**قال الحطيئة "[٣]":**

**رَأى شَبَحا وسْط الظلامِ فراعَه ☆☆☆ فلمَّا رأى ضيْفا تَشمَّر واهتمَّا**

**فقالَ هَيَا ربَّاه ضيفٌ ولا قِرى ☆☆☆ بحقِّك لا تحْرمْه تا لليلةَ اللَّحما**

**وقالَ ابنُه لمَّا رآه بحَيْرَةٍ ☆☆☆ أيَا أبتِ اذبحْني وهيِّئ له طُعُما**

**ولا تعتذرْ بالعُدْم عَلّ الذي ترَى ☆☆☆ يظنُّ لنا مالا فيُوسِعُنا ذمَّا**

**قال الشافعي"[١]" :**

---

[١] – ديوان المتنبي ٢/ ١٣٠ / ت / مصطفى سبيستي – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ط٢ ٢٠٠٣ / ١٤٢٤م.

[٢] – البيتان في العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ١٩٧/١/ دار الكتب العلمية – بيروت ط الأولى، ١٤٠٤ هـ، ونسبهما ابن عبد ربه إلى حاتم الطائي، وهما ليسا في الديوان، ونسبهما ابن قتيبة في الشعر والشعراء إلى يعقوب الخريمي. يراجع الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري ٨٤٥/٢– دار الحديث، القاهرة ١٤٢٣ هـ.

[٣] – الديوان ٢٧١ ، ٢٧٢– شرح أبي سعيد السكري – دار صادر بيروت ١٤٠١ / ١٩٨١ وروايات الديوان "بدا ضيف تسوّر..." "اذبحني ويسّر...." علّ الذي طرا...من الفعل طرأ.

**أرَى نفْسي تَتوقُ إلى أمورٍ ☆☆☆ يُقَصِّر دُونَ مَبلَغِهنِّ مَالي**

**فنفْسي لا تُطاوعُني ببخلٍ ☆☆☆ ومالي لا يُبلِّغني فِعالي**

**قال الشافعي أيضا"[٢]" :**

**إنَّ اعتذاري إلى مَنْ جاءَ يسألُني ☆☆☆ ما ليسَ عندي لَمِنْ إحدى المصيباتِ**

**قال الشاعر"[٣] :**

**متيّمٌ بالنَّدى حتى لو قال سائلُهُ ☆☆☆ هبْ لي كَرَى عينيك لم ينمْ**

**قال زهير"[٤]":**

**أخو ثقةٍ لا يُذهبُ الخمرُ مالَه ☆☆☆ ولكنَّه قد يذهبُ المالَ نائلُه**

**قال عنترة"[٥]" :**

---

[١] – البيتان ليسا في الديوان، وذكرهما الجرجاني في الوساطة لإسحاق الموصلي ٣٨٦.

[٢] – البيت في الديوان ٣٣.

[٣] – لم أقف على قائله.

[٤] – رواية الديوان " أخي ثقة لا تتلف الخمر.....ولكنه قد يهلك المال... الديوان ٩٢ والبيت السابق هو :

تراه إذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذي أنت سائله

[٥] – شرح المعلقات السبع للزَّوْزَني١/٢٤٣: دار إحياء التراث العربي الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢ م.

**وإذا صحوتُ فما أُقَصِّرُ عن نَدًى ☆☆☆ وكما علمت َشمائلي وتكرُّمي**

**قال عنترة، وقيل المقنع الكندي"١":**

**وإنِّي لَعبدُ الضَّيفِ ما دام نازلا ☆☆☆ وما شِيمةٌ لي غيرُها تُشْبهُ العبدا**

**قال الآخر"[٢]" :**

**يا ضيفَنا لو جئتَنا لوجدتَنا ☆☆☆ نحنُ الضيوفُ وأنتَ ربُّ المنزلِ**

**قال سيف الدولة"[٣] ":**

**مَنزِلنا رحْبٌ لِمَنْ زارَه ☆☆☆ نحنُ سواءٌ فيه والطارقُ**

**وكلُّ ما فيه حلالٌ له ☆☆☆ إلا الذي حرَّمه الخالقُ**

**قال دعبل"[٤]" :**

---

[١] – البيت ليس في ديوان عنترة، وذكر صاحب الأغاني أن البيت لعبد الله بن قيس المنقري برواية :

وإني لعبد الضيف من غير ذلة وما بي إلا تلك من شيم العبد

الأغاني ٤٥/٤ ونسب البيت في الكامل للمبرد إلى المنقري أيضا. الكامل في اللغة والأدب ١٥٩/١.

[٢] – البيت في المستطرف للأبشيهي ١٨٥/١.

[٣] – البيتان في المستطرف للأبشيهي ١٨٥/١.

[٤] – ديوان دعبل ٢٦٦ جمع د/عبد الكريم الأشتر – ط٢ دمشق ١٤٠٣/١٩٨٣م.

**اللهُ يعلمُ أنَّه ما سرَّني ☆☆☆ شيءٌ كطارقةِ الضيوفِ النُّزّلِ**

**ما زلتُ بالترحيبِ حتى خِلتُني ☆☆☆ ضيفا له والضيفُ رب ُالمنزلِ**

**قال صفي الدين الحلي"[١]"**

**لو أشبهتْكَ بِحارُ الأرْضِ في كَرَمٍ ☆☆☆ لأصبحَ الدرُّ مطروحا على الطُّرُقِ**

**أو أشبه َالغيثُ جودا منك منهملا ☆☆☆ لم ينجُ في الأرض مخلوقٌ من الغَرَقِ**

**قال ابن معصوم الحسيني المدني"[٢]":**

**مَنْ قاسَ جَدْوى راحتَيك إذا هَمَتْ ☆☆☆ بالغيْثِ أخطأ في القياسِ وما دَرَى**

**إذ أنتَ تُعطي ضاحكا مستبشرا ☆☆☆ والغيثُ يُعطي باكيا مسْتَعْبِرا**

**قال النابغة"٣" :**

**وإنك غيْثٌ يُنعشُ الناسَ سيبُه ☆☆☆ وسيفٌ أُعيرَتْه المنيَّةُ قاطعُ**

**قول الشاعر"١" :**

---

[١] – الموسوعة العالمية للشعر العربي رقم القصيدة ١٩٧٥١، وجواهر الأدب للهاشمي ٦٢/٢.

[٢] – نفسه.

[٣] – ديوان النابغة الذبياني٧٨/حمدو طماس – دار المعرفة – بيروت – لبنان ط٢/ ١٤٢٦/٢٠٠٥م.

**منْ قاسَ جدْواكَ بالغَمامِ فما ☆☆☆ أنْصفَ في الحكمِ بَيْنَ شكْلينِ**

**أنت إذا جُدتَ ضاحكٌ أبدا ☆☆☆ وهو إذا جاد دامعُ العَيْنِ**

**قال الآخر"٢" :**

**ما نوالُ الغمَامِ وقتَ ربيعٍ ☆☆☆ كنَوالِ الأميرِ يومَ سَخاءِ**

**فنوالُ الأميرِ بَدْرةُ عَيْنٍ ☆☆☆ ونوالُ الغمامِ قطْرةُ ماءِ**

**قال صفي الدين الحلِّي في مدح النبي صلى الله عليه وسلم "٣":**

**فجُودُ كفَّيهِ لم تُقْلِعْ سحائبُهُ ☆☆☆ عنِ العِبادِ وجودُ السُّحْبِ لم يدُمِ**

**قال المسيب بن علس"١":**

---

[١] – البيتان في الإيضاح ١١٤/١ ونسبهما الشيخ عبد المتعال الصعيدي في البغية للوأواء الدمشقي، ونسبهما الثعالبي في كتابه "خاص الخاص" إلى المتنبي في سيف الدولة ١٥١ ت حسن الأمين – دار مكتبة الحياة – بيروت/ لبنان.

[٢] – البيتان في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي ٣٠٠/٢ ت: محمد محيي الدين عبد الحميد – عالم الكتب – بيروت، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري التلمساني ٢٤١/٤ ت: إحسان عباس – دار صادر– بيروت – لبنان ص. ب ١٠.

[٣] – البيت في ديوان صفي الدين الحلي برواية " وجود السحب لم يقم " ٦٩٣ – دار صادر – بيروت.

**ولأنتَ أجودُ بالعطاءِ من الر يَّانِ لَمَّا جادَ بالقَطْرِ**

**قال زهير في مدح هرم بن سنان "٢":**

**لو كانَ يَقْعدُ فوقَ الشمسِ من كَرَمٍ ☆☆☆ قومٌ بآبائهم أو مجدِهم قعَدوا**

**محسَّدون على ما كانَ من نِعَمٍ ☆☆☆ لا يَنزِعِ اللهُ عنهم ما له حُسدوا**

**إنْسٌ إذا أمِنوا جن إذا فَزِعوا ☆☆☆ مُرزَّؤون بهاليلٌ إذا جُهِدوا**

**قال المتنبي"[٣]":**

**فلما جئتُه أعلى مَحلّي ☆☆☆وأقعدني على السّبعِ الشّدادِ**

**قال أبو نواس"[٤]":**

**إذا لمْ تَزُرْ أرضَ الخصيبِ ركابُنَا ☆☆☆ فأيُّ فتًى بعدَ الخصيبِ نَزورُ**

**فتًى يَشترِي حُسنَ الثَّناءِ بمالِه ☆☆☆ ويعلَمُ أنَّ الدَّائراتِ تَدورُ**

**فما فاتَهُ جُودٌ ولا حلَّ دونَهُ ☆☆☆ ولكنْ يَصيرُ الجُودُ حيثُ يصيرُ**

**قال أحدهم في مدح معن بن زائدة "[١]":**

---

[١] البيت في عيار الشعر لابن طباطبا، الحسني العلوي، أبو الحسن ٣٥ ت عبد العزيز بن ناصر المانع مكتبة الخانجي – القاهرة.

[٢] – الديوان٤٤.

[٣] ديوان المتنبي ١/١٣٠.

[٤] –الديوان ٣٢٨.

**سَمَّيتُ معْنا بمَعْنٍ ثم قلتُ له ☆☆☆ هذا سميُّ عقيدِ المجدِ والجودِ**

**سما بجودِك جودُ النَّاسِ كلِّهمُ ☆☆☆ فصار جودُك محرابَ الأجاويدِ**

**من نورِ وجهِك تُضْحِي الأرضُ مشرقةً ☆☆☆ ومِن بَنانِك يجْري الماءُ في العودِ**

**قال الشاعر"[٢]" :**

**أبيتُ خميصَ البطنِ عُريانَ طاويا ☆☆☆ وأوثرُ بالزَّاد الرفيقَ على نفسي**

**وأمنحُه فرشي وأفترشُ الثَّرى ☆☆☆ وأجعلُ سِترَ الليلِ من دونهِ نفسي**

**وقال الآخر"[٣]":**

**لِحَافِي لِحَاف الضَّيْف وَالْبَيْت بَيته ☆☆☆ وَلم يلهني عَنهُ غزال مقنع**

**أحدثه إِن الحَدِيث من الْقرى ☆☆☆ وَتعلم نَفسِي أنه سَوف يهجع**

**قال الشاعر"[٤]" :**

**يقولون معْنٌ لا زكاة لمالِه ☆☆☆ وكيف يُزكِّي المالَ مَن هو باذلُه**

**إذا حالَ حولٌ لم تجِدْ في ديارِه ☆☆☆ من المالِ إلا ذكرَه وجمائلَه**

---

[١] –الأبيات في الآمالي لأبي علي القالي ١/١٢١.

[٢] – الأبيات في المستطرف ١/١٧٣.

[٣] – البيتان في ديوان مسكين الدارمي٦٩، ٧٠ / ت /كارين– صادر بيروت ٢٠٠٠،، والبيتان في الحماسة لأبي تمام، ونسبهما إلى عتبة بن بجير، وقيل مسكين الدارمي ٢/٣٤٧ / ت /د /عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان ١٤٠١/ ١٩٨١م.

[٤] – الأبيات في المستطرف ١/٣٥٢.

**قال الآخر "[١]::**

**ملأتُ يدي من الدنيا مِرارا ☆☆☆ وما طمعَ العواذلُ في اقتصادي**

**ولا وجبتْ عليّ زكاةُ مالٍ ☆☆☆ وهل تجبُ الزكاةُ على الجوادِ**

**قال الشاعر مادحا خالد بن يزيد"[٢]" :**

**سألتُ النَّدى والجودَ حُرّان أنتما ☆☆☆ فقالا يقينا إنَّا لَعبيدُ**

**فقلتُ ومَنْ مولاكما ؟ فتطاولا ☆☆☆ إليّ وقالا خالدٌ ويزيدُ**

**قال الآخر "[٣]":**

**سألتُ النَّدى هل أنت حرٌ فقال لا ☆☆☆ ولكنَّني عبدٌ ليحيى بنِ خالدِ**

**فقلت شراءً قال لا بل وراثةً ☆☆☆ توارثني عن والدٍ بعد والدِ**

**قال الآخر"[١]":**

---

[١] – هذان البيتان حسّنهما ابن عبد ربه في العقد الفريد١ /١٩٨ ت/ د/ عبد المجيد الترحيني / مكتبة المعارف ط١١٤٠٤ / ١٩٨٣.

[٢] – البيتان في ثمرات الأوراق في المحاضرات لابن حجة الحموي ٢٤٦/٢ مكتبة الجمهورية العربية–مصر.

[٣] – البديع في البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ ٣٣٥ ت/ عبدا علي مهنا/ دار الكتب العلمية / بيروت لبنان ط١ ١٤٠٧ /١٩٨٧م

والبيتان في العقد الفريد ٢٢٦/١.

**سألتُ الندى والجودَ مالي أراكما ☆☆☆ تبدلتُما عزا بذلٍّ مؤبَّدِ**

**وما بالُ ركنِ المجدِ أمسى مهدّما ☆☆☆ فقالا أُصبْنا بابن يحيى محمدِ**

**فقلتُ فهلاّ متّما قبلَ موته ☆☆☆ وقد كنتما عبديهِ في كلِّ مشهدِ**

**فقالا أقمنا كي نُعزّى بفقده ☆☆☆ مسافةَ يومٍ ثم نتلوه في غدِ**

**قال الحسين بن مطير في مدح المهدي"[٢]" :**

**لَو يعبد النّاس يَا مهديّ أفضلهم ☆☆☆ مَا كَانَ فِي النّاس إلاّ أنْت معبود**

**أضحت يَمِينك من جودٍ مصوّرةً ☆☆☆ لَا بل يَمِينك مِنْهَا صوّر الْجُود**

**قال الحسين بن مطير أيضا"٣" :**

**فَيَا قَبْرَ مَعْنٍ أنْتَ أوَّلُ حُفْرَةٍ ☆☆☆ مِنَ الأرْضِ خُطَّتْ لِلسَّمَاحَةِ مَضْجَعَا**

**وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارِيْتَ جُودَهُ ☆☆☆ وقَدْ كَانَ مِنْهُ البرُّ وَالبَحْرُ مُتْرَعَا**

**بَلَى قَدْ وسعْتَ الجُوْدَ والجودُ مَيِّتٌ ☆☆☆ وَلَو كَانَ حيّاً ضَقْتَ حَتَّى تَصَدَّعَا**

**فَتىً عِشْتُ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْد مَوْتِهِ ☆☆☆ كَمَا كَانَ بِعْدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعَا**

**وَلَمّا مَضَى مَعْنٌ مَضَى الجُودُ وَانْقَضَى ☆☆☆ وَأَصْبَحَ عِرْنينُ المَكارِمِ أجْدعا**

**أبى ذكر معن أن تموت فعاله ☆☆☆ وإن كان قد لاقى حماما ومصرعا**

---

[١] – الأبيات في مفتاح العلوم للسكاكي ٤١٢/١ ت/ نعيم زرزور دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

[٢] – في الديوان ١٢٥ جمع د/حسين عطوان.

[٣] – في الديوان ١٢٦/١٢٥.

**قال الشاعر"١" :**

**فماتَ وأبقى من ترابِ عطائه ☆☆☆ كما أبقتِ الأنواءُ للحيوانِ**

**تحكي الروايات"٢" أن الكريم معن بن زائدة كان يتصيد فعطش، فلم يجد مع غلمانه ماء، فرأى جاريتين، تحمل كل واحدة قربة ماء، فشرب منها، فأراد أن يكافئهما، فلم يجد شيئا، فأعطى كل واحدة عشرة أسهم من سهامه، وكان نصالها من ذهب، فقالت الأولى :**

**يركِّب في السهامِ نصالَ تِبْرٍ ☆☆☆ ويرميها العِدا كرما وجودا**

**فللمرضى علاجٌ من جراحٍ ☆☆☆ وأكفانٌ لمن سكنَ اللحودا**

**وقالت الأخرى :**

---

[١] – وقبله : فتى كغرار السيف لاقى منية وأيدي المنايا جمّة الحدثان

والبيتان في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى٢/٥٤٦

شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ، والبديع في نقد الشعرلابن منقذ١/٢٣٦.

[٢] – الكشكول لمحمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمذاني٢/٢٢٤ت/ محمد عبد الكريم النمري: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ –١٩٩٨م ومجاني الأدب في حدائق العرب لرزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو ٤/١٧١.: مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت١٩١٣ م.

**ومحاربٍ من فرْطِ جود بنانهِ ☆☆☆ عمّت مكارمُه الأقاربَ والعِدا**

**صيغتْ نصالُ سهامِه من عسْجدٍ ☆☆☆ كي لا يعوّقه القتالُ عن النَّدى**

**قال النابغة الجعدي"[١]" :**

**فتى كملتْ أخلاقُه غيرَ أنَّه ☆☆☆ جوادُ فما يُبقي من المالِ باقيا**

**وقال أبوتمام"[٢]" :**

**وفتكتُ بالمالِ الجزيلِ وبالعِدا ☆☆☆ فتكَ الصَّبابة بالمحبِّ المُغرَمِ**

**قال الآخر"[٣]" :**

**ملِك يفيضُ على العُفاة سجالُه ☆☆☆ وعلى العُداة بسطْوه سجّيلا**

**وإذا حباك بغرَّة من مالِه ☆☆☆ ثنّى وأعقب غرّةً تحجيلا**

**قال جؤية بن النضر أو النضر بن جؤية"[٤]"**

**إنَّا إذَا اجْتَمَعَتْ يَوْما دَرَاهِمُنا ☆☆☆ ظَلَّتْ إِلَى طُرُقِ المَعْرُوفِ تَستَبِقُ**

**لَا يأْلَفُ الدرْهَمُ المَضْرُوبُ صُرّتَنا ☆☆☆ لكنِ يمُرُّ عَليها وَهْوَ مُنْطَلِقُ**

---

[١] – في الديوان ١٨٨ ت/ د. واضح عبد الصمد – دار صادر بيروت ط١ /١٩٨٩.

٤– هذا البيت ليس موجودا في طبعة بيروت.

[٣] – البيتان في المنتحل لأبي منصور الثعالبي ٥٣/١ ت: الشيخ أحمد أبو علي: المطبعة التجارية – الإسكندرية الطبعة: ١٣١٩ هـ – ١٩٠١ م.

[٤] – معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ٢٠٧/١.

**قال أبو تمام"[١]" :**

**لا تُنكري عُطل الكريمِ من الغنى ☆☆☆ فالسيلُ حربٌ للمكانِ العالي**

**قال مسلم بن الوليد "[٢]":**

**يجود بِالنَّفسِ إِذْ ضن الْجواد بهَا ☆☆☆ والجود بِالنَّفسِ أقْصَى غَايَة الْجُود**

**وقال المفضل بن المهلب ابن أبي صفرة"[٣]" :**

**هَلِ الجودُ إلا أنْ تَجودَ بِأنْفُسٍ ☆☆☆ على كُلِّ ماضي الشَّفْرتَيْنِ صقيلِ**

**قال زهير، أو بكر بن النطاح"[٤]" :**

**وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ ☆☆☆ لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ اللهَ سَائِلُهْ**

**قال المتنبي"[٥] ":**

**مِلْتُ إلى من يكَادُ بينكُمَا ☆☆☆ إن كُنتُمَا السَّائلَين يَنقَسِمُ**

**قال بكر بن النطاح "١"**

---

[١] – الديوان ١٣٣.

[٢] – البيت لمسلم بن الوليد وهناك رواية "إذا ضنّ الجواد بها " وهي أبلغ، والبيت في معاهد التنصيص ٣٢٥/١، والعقد الفريد ٩٩/١

[٣] – البيت في الكامل في اللغة والأدب للمبرد٢٤٦/١ ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم / دار الفكر العربي القاهرة الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

[٤] – البيت في خزانة الأدب للحموي ٢٣٦/٢.

[٥] – في شرح الديوان ١٣٨/١.

**ولو خذلَتْ أموالُه فيضَ كفّه ☆☆☆ لقاسم من يرجوه شطْرَ حياته**

**قال الشاعر"[٢]" :**

**أفسدتني بالجودِ إذ أصلحتني ☆☆☆ فتركتني أتسخطُ الإحسانا**

**من جادَ بعدك كانَ جودك فوقه ☆☆☆ لم أرضَ غيركَ كائناً من كانا**

**قال الآخر"[٣]" :**

**لمْ يُبْقِ جُودُكَ لِي شيئًا أُؤَمِّلُه ☆☆☆ تَرَكْتَنِي أَصَحبُ الدُّنيا بِلَا أَمَلِ**

**قال نصيب في سليمان بن عبد الملك"[١]" :**

---

[١] – قبله :

أقول لمرتاد الندى عند مالك  تمسّك بجدوى مالك وصلاته

فتى جعل الدنيا وفاء لعرضه  فأسدى بها المعروف قبل عداته

وبعده :

وإن لم يجز في العمر قسم لمالك  وجاز له أعطاه من حسناته

وجاد بها من غير كفر بربه  وأشرك في صومه وصلاته

الأبيات في العقد الفريد ١٩٨/١.

[٢] – البيتان في البديع في نقد الشعر لابن منقذ ٢٣٦/٢.

[٣] – البيت في خزانة الأدب للحموي ٢٤٣/١، ونفح الطيب ٤١١/٣.

**فَعَاجُوا، فأثْنَوْا بِالَّذِي أنتَ أهْلُهُ ☆☆☆ وَلَو سَكَتُوا أثْنَتْ عليكَ الحَقَائِبُ**

**قال ابن هرمة"[٢]:**

**ويدلُّ ضيفي في الظلام على القِرى ☆☆☆ إشراقُ ناري أو نباحُ كلابي**

**حتى إذا واجَهْنهُ ولقِينَهُ ☆☆☆ حيّينَه ببصابص الأذنابِ**

**فتكادُ من عِرفانِ ما قد عُوِّدتْ ☆☆☆ من ذاك أن يُفْصِحْن بالتِّرحابِ**

**قال حسان في مدح آل جفنة "[٣]" :**

**لله درّ عصابةٍ نادمتهم ☆☆☆ يَوْمًا بجلّق فِي الزَّمَان الأوّلِ**

**يغشون حتّى مَا تَهرَّ كلابُهم ☆☆☆ لَا يسْألُون عَن السّواد الْمقبلِ**

**قال الحطيئة "[٤]" :**

**متى تأتهِ تعشُو إلى ضوءِ نارِه ☆☆☆ تجدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ موقدِ**

**كسوبٌ ومتلافٌ إذا ما سألتَهُ ☆☆☆ تهَلَّلَ واهْتَزَّ اهتزازَ المُهَنَّدِ**

---

[١] – البيت في الشعر والشعراء لابن قتيبة ٣٩٩/١ – دار الحديث، القاهرة ١٤٢٣ هـ.

[٢] – الأبيات في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى : شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

[٣] – الأبيات في ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه ١٢٢،١٢٣ ت / د. حسن حنفي، وحسن كامل الصيرفي الهيئة المصرية العامة للكتاب / ١٤٧٤.

[٤] – الديوان ٥١.

**قال ابن الخياط"[١]" :**

**لمسْتُ بكفّي كفَّهُ أبتغي الغِنى ☆☆☆ ولم أدرِ أنّ الجودَ من كفِّه يُعدي**

**فلا أنا منهُ ما أفادَ ذوو الغِنى ☆☆☆ أفدْتُ، وأعْداني فأتلَفْتُ ما عندي**

**قال أبو تمام :**

**علّمني جودُك السّماحَ فما☆☆☆ أبقيْتُ شيئاً لديّ من صلَتِكْ**

**قال الآخر:**

**لستُ أُضحي مصافحاً لسلام ☆☆☆إنني إن فعلتُ أتلَفْتُ مالي**

**قال المتنبي :**

**أعْدى الزمنَ سخاؤهُ فسخا به ☆☆☆ ولقد يكون بهِ الزمانُ بخيلا**

**قال أبو تمام :**

**هيْهاتَ لا يأتي الزمانُ بمثلِه☆☆☆ إنّ الزمانَ بمثلِه لبَخيلُ**

**قال الفرزدق"[١]":**

---

[١] – البيتان في عيون الأخبارأبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري١/٤٦٧: دار الكتب العلمية –بيروت

: ١٤١٨ هـ.

**وَقَدْ عَلِمَ الجِيرانُ أنْ قُدورَنَا ☆☆☆ ضَوَامِنُ للأرْزَاقِ وَالرّيحُ زَفْزَفُ**

**نعجِّلُ للضيفان في المحْلِ بالقِرى ☆☆☆ قدورا بمَعبوطٍ تُمدّ وتُغرَف**

**تُفَرَّغُ في شِيزى كأنّ جِفَانَها ☆☆☆ حَيَاضُ جِبىً مِنْهَا مِلاءٌ وَنُصَّفُ**

**تَرَى حَوْلَهُنّ المُعْتَفِينَ، كَأَنّهُمْ ☆☆☆ على صَنَمٍ في الجاهِليّةِ عُكَّفُ**

**قال زهير"[٢]" :**

**تراهُ إذا مَا جِئْته متهللا☆☆☆ كَأَنَّك تعطيه الَّذِي أنْت نائله**

**لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ ☆☆☆ لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ اللهَ سَائِلُهْ**

**قال المتنبي"[٣]" :**

**تهلّل قبلَ تسليمي عليهِ☆☆☆ وألقى كيسَه قبلَ الوِساد**

---

[١] – الأبيات في ديوان الفرزدق ٣٨٨، ٢٨٩ ش/علي فاعور – دار الكتب العلمية / ط١ ١٤٠٧ – ١٩٨٧م، والزفزف الريح الباردة الشديدة الهبوب، والمعبوط هو الذبيح، والشيزى خشب أسود تصنع منه القصاع.

[٢] – سبق في ص.

[٣] – شرح الديوان ١/١٣٠.

**قال أبو الهندي"[١]" :**

**سألناه الجزيلَ فما تلكّا ☆☆☆ وأعطى فوقَ مُنيتنا وزادا**

**وأحسنَ ثم أحسنَ ثم عُدنا ☆☆☆ فأحسنَ ثم عدتُ له فعادا**

**مرارا ما قصدتُ إليه إلا ☆☆☆ تبسَّم ضاحكا وثنَى الوسادا**

**قال المتنبي"[٢]" :**

**يُعْطيكَ مُبْتدئاً فإنْ أعْجلتَهُ ☆☆☆ أعْطاكَ مُعْتذراً كَمَنْ قَدْ أجرَما**

**قال أبوتمام :**

**أخو أزماتٍ بَذْلُهُ بَذْلُ مُحْسنٍ ☆☆☆إلينا. ولكنْ عُذْرهُ عذْرُ مُذنبِ**

**قال أبو الصمد بن المعزل:**

**يُعطيكَ فَوْقَ المنى من فَضل نائلهِ ☆☆☆ وَليس يُعطيك إلاّ وهو مُعْتذرُ**

**قال أبو تمام :**

**ورأيتني فَسَألت نَفسك سببها ☆☆☆ لي ثمَّ جدت وَمَا انتظرت سُؤَالِي**

---

[١] – البيت في عيون الأخبار ١٠/٣، والمصون في الأدب لأبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل العسكري ١٦٧/١ت: عبد السلام محمد هارون: مطبعة حكومة الكويت ط: الثانية، ١٩٨٤.

[٢] – الديوان ١٥.

**قال النمري"[١]" :**

**رأيت المصطفى الهارون يُعطي ☆☆☆ عطاءً ليس ينتظرُ السؤالَ**

**قال سلم الخاسر"[٢]":**

**أعطاك قبلَ سؤاله ☆☆☆ فكفاك مكروهَ السؤالْ**

**قال أبو تمام"[٣]" :**

**عطاؤك لَا يفنى ويستغرق المنى ☆☆☆ وَتبقى وُجُوه الراغبين بِمَائِهَا**

**قال الآخر: أعجلتنا فأتاكَ عاجلُ برّنا ☆☆☆ قلاًّ، وإنْ أمهلتَنا لمْ يَقلِ**

**فَخُذ القليلَ وكنْ كأنَّك لمْ تَسلْ ☆☆☆ وَنكون نَحْن كأنَّنا لمْ نَفْعَلِ"[٤]"**

**قال أبو العتاهية في مدح عمرو بن العلاء"[٥]" :**

**إنِّي أمِنتُ من الزمانِ وصَرْفه ☆☆☆ لما علِقتُ من الأميرِ حبالا**

**لو يستطيعُ الناسُ من إجلاله ☆☆☆ جعلوا له حُرَّ الوجوهِ نعالا**

---

[١] – البيت في الموازنة بين أبي تمام والبحتري لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي ١-٩٦: تحقيق / السيد أحمد صقر/ دار المعارف – ط الرابعة.

[٢] – نفسه.

[٣] – العقد الفريد ١/١٩٩.

[٤] – المنصف لابن وكيع التنيسي ١١٨، ١١٩.

[٥] – ديوان أبي العتاهية ٣٧٧ – دار صادر – بيروت ١٤٠٠/١٩٨٠م والرواية في الديوان " لحذوا له حر الوجوه نعالا ".

**إن المطايا تشتكيكَ لأنَّها ☆☆☆ قطعتَ إليك سباسبا ورمالا**

**فإذا وردنَ بنا وردنَ خفائفا ☆☆☆ وإذ صدرْن بنا صدرْن ثقالا**

**قال أبو تمام"[١]":**

**مَضَوْا وكأنَّ المَكْرُماتِ لَدَيْهِمُ ☆☆☆ لكَثْرَةِ مَا وَصَّوْا بِهِنَ شَرَائِعُ**

**وقال أيضا"[٢]" :**

**جُودٌ تَدِينُ بِحُلْوِهِ وبِمُرّهِ ☆☆☆ فَكأنَّهُ جُزْءٌ مِنَ التَّوْحِيدِ**

**قال المتنبي في مدح سيف الدولة"[٣]":**

**كأنَّ سَخَاءَكَ الإسلامُ تَخْشَى ☆☆☆ إذا ما حُلْتَ عَاقِبَةَ ارْتِدَادِ**

**قال البحتري"[٤]" :**

**كالبدر أفرط في العلوّ وضوؤُه ☆☆☆ للعُصبة السارينِ جدٌّ قريبُ**

---

[١] – الموازنة بين أبي تمام والبحتري: أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي ٩١/١ ت / السيد أحمد صقر/ دار المعارف – الطبعة الرابعة

[٢] – شرح ديوان المتنبي لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين ٣٥٩/١ت: مصطفى السقا/إبراهيم الأبياري/عبد الحفيظ شلبيت: دار المعرفة – بيروت.

[٣] – الديوان ٨٦.

[٤] – الديوان ٢٤٩/٤.

**قال المتنبي"[١]" :**

**كَالشَّمْسِ فِي كبد السَّمَاء وضوؤها ☆☆☆ يغشى الْبِلَاد مشارقاً ومغاربا**

**قال شوقي في مدح النبي صلى الله عليه وسلم"[٢]" :**

**وإذا سخوتَ بلغتَ بالجود المدَى ☆☆☆ وفعلتَ ما لا تفعلُ الأنواء.**

---

[١] – ديوان المتنبي ١١١ ت /عزام – دار بيروت ١٤٠٣/١٩٨٣م.

[٢] – الشوقيات ٣٥/١ /دار العودة بيروت ١٩٨٨م.

# المبحـــــــث الأول

موازنـــــة بيـــــن الإتـــلاف والإمســـــــاك

**قال ربيعة الرقي"[١]":**

**شَتّانَ ما بين اليزيدين في النَّدي ☆☆☆ يزيدَ بنَ عمرو والأغرِّ بن حاتم**

**فهَمُّ الفتى الأزدي إتلافُ ماله ☆☆☆ وهَمَّ الفتى القيْسي جَمعُ الدراهم**

**فلا يحْسَب القيسيُّ أنّي هجوتُه ☆☆☆ ولكنّني فضّلتُ أهلَ المكارم**

**قول ربيعة الرقي في يزيد بن عمرو قول مقتصد في التعبير عن كرمه، في حين أن مثل هذه المقامات تقتضي المبالغة والتصعيد لمعاني الجود والسخاء، فكل ما فعله الشاعر هو أنه وضعه في كفة مع رجل يهتم بجمع المال، ولا يعرف للسخاء سبيلا، فهو عن الجود أبعد ما يكون، ومن ثم فإن الموازنة بين اليزيدي وبين هذا الرجل القيسي تبهت من كرم اليزيدي وتخدش من جوده، وأرباب التعبير عن هذا الباب قالوا:**

**ألمْ ترَ أنَّ السيفَ يُزرَى بقدْره ☆☆☆ إذا قيل إنَّ السيف أمضى من العصا**

**فكان الأليق بالشاعر إذا أراد أن يجعل ممدوحه في القمة، أن يضعه في كفة مع عدله في طرائق الجود، ومن ثم كان تمهيد الشاعر لهذه الموازنة غير دقيق، وهو قوله "شتان ما بين اليزيدين في الندي" وهل مدّ الأغر بن حاتم سببا إلي سماء الندى؟ وهو من الندى بمكان بعيد.**

---

[١] – الأبيات في موسوعة الشعر الإسلامي ١/١٢ جمع علي بن نايف الشحود.

**فالذي همه جمع المال لا ينبغي أن يشرك في الندى، حتى وإن كان قصد الشاعر الفرق بينهما، ثم إن التعبير بالجمع [الدراهم] في جانب المفضول عليه يدل علي شدة انكباب هذا الرجل وعظم شراهته وولوعه بجمع الدراهم الكثيرة، التي لا يقنع بجمع بعضها، فهذا التعبير يوحي بلهثه اللاهث، وحرصه الحريص، علي الجمع والتكديس، ومن كانت هذه صفته، وتلك حالته لا يستحق أن يوضع في موازنة مع الممدوح الذي يتلف أمواله ولا يبالي بها.**

**والتعبير بالتلف وإن كان يدل على عدم تعلق الممدوح بالمال إلا أنه يقدح في الممدوح من جهة أن إتلاف المال لا يكون إلا من إنسان طائش، لا يجيد التصرف في ماله، فالشاعر وإن كان أحسن من جهة فقد أساء من جهة أخرى، وكان الأولى بالشاعر أن يربأ بممدوحه عن هذه القوادح، وتلك الشوائب، ويتخير التعبيرات الدقيقة التي لا تحوم حولها شائبة وهم، وسوء ظن.**

**ومن ثم عاب أولو الحصافة من النقاد قول أبي نواس في العباس بن عبد الله بن جعفر حين أراد التعبير عن معنى الكرم فقال"١" :**

**جُدتَّ بالأموال حتَّى ☆☆☆ قيل ما هذا صحيح**

**وعابوا قول أبي تمام :**

**ما زال يَهْذي بالمواهب دائبا ☆☆☆ حتَّى ظننَّا أنَّه محموم**

---

١ – ديوان أبي نواس ١٩ دار صادر بيروت.

**فقد و صف أبو نواس ممدوحه بالجنون؛ لأن التعبير بقوله: "ما هذا صحيح" يشير إلي أن في عقله لوثة جعلته يبدد أمواله، وتبديد الأموال من إنسان ملتاث أرعن، وطائش مأفون، أمر لا يحمد في الإنفاق، وإنما يستحب الإنفاق من عقل سليم، وتفكير سديد.**

**ووصف أبي تمام ممدوحه بأنه محموم غير مقبول؛ لأنه يدل علي أن الممدوح يعطي من غير اتزان، وتعبير ربيعة الرقي "إتلاف ماله" من أفعال السفهاء، ثم يعتذر الشاعر باعتذار غير مقبول "فلا يحسب القيسي أنى هجوته" "ولكنني فضلت أهل المكارم"، فالشاعر في الشطر الأول لم يصدق في اعتذاره وتبريره، ولم يحسن في الشطر الثاني في حكمه وتقريره.**

**أفليس وصف الشاعر سابقا لابن حاتم بأن همه جمع الدراهم يعد هجاء وانتقاصا، ثم ينفي عنه لاحقا هذا الهجاء، أليس هذا تعارضا يدل على نفسية الشاعر المتذبذبة، وعاطفته المضطربة، ثم إنه لم ينجح في تفضيل أهل المكارم.**

**هذا من الناحية المعنوية، أما الناحية التعبيرية فهو وإن أخفق في بعض التعبيرات كما أوضحت سابقا إلا أنه أحسن اختيار أسلوبي الإجمال والتفصيل، فقد أجمل الشاعر في طريقة التفضيل بينهما في قوله :"شتان ما بين اليزيدين في الندى" ثم فصل بقوله "يزيد بن عمرو والأغر بن حاتم".**

**ثم وسع في طريقة التفصيل في البيت الثاني وهذا ما يعرف عند البديعيين بالتوشيع وهو "أن يأتي المتكلم بمثنى ثم يفسره بمعطوف**

**ومعطوف عليه" "١" وهذا أسلوب فيه نوع من التشويق والترقب الذي أثار فينا تلهفا وتطلعا إلى سر الافتراق، فجاء التفصيل في البيت الثاني :**

**فهم الفتي الأزدي إتلاف ماله ☆☆☆ وهم الفتي القيسي جمع الدراهم**

**فاستقر المعني في النفس وركز في القلب وكان "كحدوث اللذة بعد الألم والراحة بعد العناء" "٢" ثم إن بين البيتين فصلا واضحا، وذلك بسبب أن أسلوب الإجمال أثار تساؤلا وهو ما علة الافتراق؟ فجاء أسلوب التفصيل ببيان العلة، وهذا ما يسمي عند البلاغيين "الاستئناف البياني"، أو "شبه كمال الاتصال"، كما أن الشاعر كان لبقا حين جاءت أبياته سهلة منسابة، سلسة التركيب، متساوية العبارات، فكلمات الأشطر الأولي من أبياته تساوي كلمات الأشطر الثانية، مما سبب نوعا من التوازي الذي أحدث نغمة خلابة تخلب النفوس، وهذا ما يسمي عند أرباب البديع "التفويف"، وهو كما عرَّفه الخطيب: "أن يؤتي في الكلام بمعان متلائمة في جمل مستوية المقادير أو متقاربتها" "٣".**

---

[١] – راجع الطراز للعلوي ٤٤٣ – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – ط١ ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م وتحرير التحبير لابن أبي الإصبع ٣١٦/٢ ت/د/حفني شرف / ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٤٢٦/ ١٩٨٥م، وخزانة الأدب للحموي ١/ ٢٧٢ ت /عصام شعيو– دار مكتبة الهلال – بيروت لبنان ط١ ١٩٨٧.

[٢] – في البلاغة القرآنية د/ صباح عبيد دراز ٢٢٢.

[٣] – الإيضاح مع البغية للشيخ عبد المتعال الصعيدي ٤ /١٨ المطبعة النموذجية، ويراجع البلاغة الغنية علي الجندي ٦٨ مكتبة الأنجلو المصرية ط٢ ١٩٦٦.

وهذا النوع الذي تتساوي فيه مقاطع الكلام يعذب نطقا واستماعا ويحدث من اللذة التي تجذبك نحوه، وقد حمد المتنبي هذا اللون من الكلام فقال :

**فتاة تساوي عقدها وكلامها ☆☆☆ ومبسمها الدري في الحسن والنظم**

فضلا عن الطباق بين "إتلاف" وبين "جمع"، وبين "هجوته" وبين "فضلت" وهذا الطباق كشف عن معنى التفضيل في الممدوح والانتقاص من المهجو.

وعود إلي بيتي أبي نواس وأبي تمام:

قال أبو نواس :

**جدتَّ بالأموال حتَّى ☆☆☆ قيل ما هذا صحيح**

وقول أبي تمام:

**ما زال يهْذي بالمواهب دائبا ☆☆☆ حتَّى ظننا أنه محموم**

البيتان يكشفان عن كرم الممدوح، ويبرزان مدى السخاء الذي وصل إليه ممدوح كل من الشاعرين، ومع اتفاق الشاعرين في الفكرة إلا أنهما تفاوتا في طريقة التعبير، واختلفا في طريقة التصوير.

فأبو نواس يخاطب الممدوح بلفظ "جدت"وهي من الجود والسخاء، وخطاب الممدوح بمثل هذا يبعث في قلبه أريحية، ويثير في نفسه طربا ونشاطا، يجعلانه يتعلق من الكرم بأقوى أسبابه، ويلج له كل أبوابه.

ثم إن التعبير بالجمع "الأموال" أبلغ من المفرد؛ لأن الجمع يدل على كثرة الصلات، وتعدد الهبات، وأن الممدوح بلغ في هذا العطاء مبلغا

جعل الناس يظنون أن بعقله لوثة من جنون "ما هذا صحيح"، وهذا وإن كان كاشفا عن الجود الواسع للممدوح إلا أن التعبير قادح لا يليق بمخاطبة الكرماء، فالجود بالأموال في حال يكون فيه الممدوح رشيد عقل، وصحيح فكر، أزكى وأرقى للممدوح من أن يعطي وهو في غفلة عن قيمة ما يعطيه، إذ العقل الملتاث تخفى عليه قيم الصنائع.

ومن ثم لم يكن أبو نواس في التعبير عن كرم الممدوح سديدا، فذهب بعيدا، وقد زاد بعده في النجعة، وإغراقه في النزع حين عبر عن الممدوح باسم الإشارة الذي يذهب بقدر الممدوح وينقص من منزلته، فإن الإشارة في هذا السياق أقرب إلى التهوين من شأنه، وخاصة إذا اقترنت بكلمة "صحيح" المنفية، ومع ذلك فإن التعبير بالإشارة هنا ألطف من التعبير بالخطاب، لأنه جريًا على الظاهر كان يقال:

**جدت بالأموال حتى ☆☆☆ قيل ما أنت صحيح**

فعدل الشاعر من الخطاب في "جدت" إلى الإشارة تخفيفا من حدة المجابهة، وتقليلا من قسوة الخطاب.

وفي التعبير بـ "قيل" الماضي المبني للمجهول إشارة إلى شمول القول من كل إنسان، وهذا فيه إيحاء بكثرة العطاء، وشمول السخاء، فالبيت – كما تلمح – جاء مشوبا بالقوادح التي تذهب بالممدوح، لذلك جاءت صورة ممدوح أبي نواس ممسوخة مشوهة تقتضي الإشفاق.

وهذا ما وقع فيه أبو تمام أيضا حين قال عن ممدوحه "مازال يهذي بالمواهب" أي ما زال يكثر من هباته ولا يبالي بها، حتى وصل إلى حالة تشبه المتصرف في غير وعي، إذ الفعل "تهذي" من الهذيان وهو

**اضطراب عقلي يجعل صاحبه يتكلم "بكلام غير معقول وهذا يكون في مرض أو غيره" "١"، وهذا لا يليق بوصف الممدوح الكريم، وليت عبثه بالأموال، وتصريفه لها وقف عند حد، بل هذا دأبه، وتلك عادته وديدنه، دل على ذلك الفعل "زال" واسم الفاعل "دائبا" فالتعبير بـ"ما زال" في اللغة يدل على ملازمة الشيء.**

**وتصوير الشاعر للممدوح في الشطر الثاني تصوير فاضح، وتعبير فادح "حتى ظننا أنه محموم"، ومن شأن المحموم التخريف والهذيان، والعطاء في مثل هذه الحالة لا يحمد وإن كان كثيرًا.**

**ذكر الدكتور مندور أن الصولي حاول إنصاف أبي تمام، مستشفعًا بخطأ أبي نواس، ونقل قوله :**

**"وعابوا قوله – يقصد أبا تمام – وأسقطوه عند أنفسهم فكيف لم يسقطوا أبا نواس في قوله– وذكر البيت السابق– والمحموم أحسن حالا من المجنون؛ لأن هذا يبرأ فيعود صحيحا كما كان، والمجنون قلما يتخلص، فأبو تمام في تشبيه الإفراط في العطاء والبذل بإكثار المحموم أعذر من أبي نواس إذا شبهه بالمجنون" "٢".**

**هذه الموازنة لم تلق ارتياحا لدى الدكتور مندور الذي وصف كلام الصولي بالحجاج السخيف، وأن الموازنة بين المحموم والمجنون موازنة عقيمة، وكلا البيتين ثقيل مرذول، وخطأ أبي نواس في الذوق لا يصحح**

---

[١] – لسان العرب مادة هذى.

[٢] – راجع النقد المنهجي عند العرب د/ محمد مندور ٨٨ط نهضة مصر.

**خطأ أبي تمام، وإن كان أبو نواس أقل إحالة وحمقا من أبي تمام، فهو يقول: "جدت بالأموال" بينما يأبى أبو تمام إلا أن يجعل ممدوحه "يهذي بالمواهب"، وهذا أسخف الشعر وأشده تكلفا وسماجة"١".**

**وهكذا ترى خفوق الشاعرين في التعبير عن مقصدهما والوصول إلى غايتهما، فقد قعد بهما التكلف المصنوع عن مسايرة السهل المطبوع.**

**وإذا كان النقاد عابوا قول أبي نواس السابق "جدت بالأموال حتى...." فإن له في القصيدة التي منها هذا البيت تعبيرات تفاوتت فيما بينها صعودا وهبوطا في التعبير عن معنى الكرم فيقول"٢":**

**كلُّ جُود يا أميري ☆☆☆ ما خَلا جودَك ريحُ**

**فهو هنا يعلي من شأن ممدوحه ويسمو بكرمه، فجعل كل الجود ريحا ما خلا جود الأمير، والجود إذا كان ريحا فلا يمسك ولا يقبض عليه بيد، يعني لا يعد شيئا مذكورا، وأداة "كل" التي تفيد الشمول تخدم مراد أبي نواس، وإنما الجود الحقيقي متمثل في الأمير فهو العطايا نفسها، يقول بعد البيت السابق:**

**إنّما أنتَ عطايا ☆☆☆ أبدًا لا تستريحُ**

**بأسلوب القصر وأداته إنما التي تستعمل في الأمور المعلومة، وتجيء في الخبر الذي لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته "١"، والذي لا**

---

[١] – السابق.

[٢] – الأبيات في الديوان ١٦٩.

**يشك فيها أحد، فالشاعر يقصد أن الأمير هو الكرم نفسه، أو العطايا نفسها، وهذا أمر مشهور عند الناس ومعلوم عندهم.**

**والتعبير بلفظة "أبدا" تأبيد لكرمه، فهو أبدا لا يستريح إلا إذا وقعت العطايا في أماكنها، وحلت محلها.**

**ويبلغ التعبير منتهاه، ويصل أبو نواس إلى مغزاه حين صور الجود مثالا، وجعل روحه الممدوح "عباس" يقول :**

**صُوّر الجودُ مثالا ☆☆☆ فَلَه العباسُ رُوحُ**

**يقول إن الجود كله صورة جامدة لا روح فيها ولا حياة، والممدوح روحه، والجود من غيره ميْت، وهذا تأنق واضح في التعبير، ومن مظاهر تأنقه أيضا تقديم الجار والمجرور على المبتدأ "فله العباس"على المبتدأ لإفادة حصر الجود وروحه على العباس، وهذه تعبيرات في غاية الجودة، لكن يقل تعبيره، ويفسد تصويره حين جعل للمال صوتا مبحوحا في البيت الذي يليه:**

**بُحّ صَوتُ المال مما منك يشكو ويصيح**

**وهذا تصوير وإن كان يكشف عن كثرة عطايا الممدوح وشدة أفاعيله بالمال حتى جأر المال من ذلك واستعاذ بصوت مبحوح، إلا أن الاستعاذة هنا عابها النقاد، قال ابن رشيق :**

---

[١] – دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ٣٣٠ –ت – محمود شاكر – دار المدني ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

**" فأي شي أبعد استعاذة من صوت المال، فكيف يبح من الشكوى والصياح مع ما أن له صوتا حين يوزن أو يوضع" "١".**

**ذكر القاضي في الوساطة قول أبي نواس جدت بالأموال.... وقوله :**

**جادَ بالأموال حتّى ☆☆☆ حسبوه الناس حُمْقا "٢"**

**وقول أبي تمام: "ما زال يهذي...."، فقال القاضي معلقا على قول أبي تمام "فتناول معنى باردا، وغرضا فاسدا فأكده وأضاف إلى الحمى الهذيان" "٣".**

**وكان لأبي تمام تصوير آخر في وصف الممدوح بالكرم وكان أحسن حالا فيه مما عيب عليه سابقا وأحسن من بيت أبي نواس، يقول:**

**تَكادُ عَطاياه يُجَنُّ جنونُها ☆☆☆ إذا لم يُعَوِّدْها برُقْيَة طالبِ "٤"**

**يقول إن الممدوح كريم، وديدنه تصريف الأموال في وجوهها، وتوزيع العطايا على مستحقيها، وإن استبطأ في تنفيذ ذلك تفور العطايا فورتها، وتثور ثورتها حتى تصير كالمجنونة، إلا أن يدفعها إلى طلابها.**

---

[١] – العمدة لابن رشيق القيرواني ٤٣٦/١ ت/د/النبوي شعلان – مكتبة الخانجي– ط١ ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م.

[٢] – في رواية الديوان "جاد إبراهيم حتى...جعلوه الناس حمقا" ص٤٦٤.

[٣] – الوساطة بين المتنبي وخصومه ٢٥٩ ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم – علي محمد البجاوي– منشورات الكتب العلمية.

[٤] – الديوان ٣٣.

**هذه هي الفكرة التي بنى عليها أبو تمام بيته، وكان أبو تمام أرفق بالممدوح حين جعل الجنون للعطايا وليس للممدوح كما فعل أبو نواس سابقا، وممدوحه هنا ثابت متزن يصرف أمواله تصريفا فيه رشد وحكمة، فتقع موقعها، وتصيب موضعها، وليس تصرف الهاذين المحمومين الذين اختلطت عقولهم، واضطربت نفوسهم، وقد اعتمد أبو تمام في إظهار فكرته على جملة من التصويرات التي احتشدت وتآزرت في إظهار كرم هذا الممدوح، ففي البيتين استعارتان ومجاز عقلي.**

**الاستعارة الأولى مكنية فقد جعل الشاعر العطايا إنسانا، وخلع عليه بعض الصفات التي تعتري الإنسان وهو الجنون، ثم حذف المشبه به وهو الإنسان وأخذ منه صفة الجنون وأسندها للمشبه وهو العطايا تخييلا.**

**وقد نهضت الاستعارة هنا بمهمتها في إظهار كرم الممدوح الفائق، وسخائه الذي بلغ منتهاه في صورة مؤثرة ساحرة، وطريقة مقررة مقنعة، وإلا فما قولك في عطايا تفور، وهبات تثور، وحركة طائشة، تريد أن تصل إلى العفاة السائلين، فإذا ما وصلت إلى أيديهم هدأت وسكنت، أليس الممدوح قد عوّدها على هذا الأمر فاعتادته؟ فإذا رأت من الممدوح استبطاء هاجت وماجت، أليس في هذا إشارة إلى أن كرم الكريم فاض، وكثر وزاد، حتى تعدى إلى ما لا يعقل وهو الأموال، حتى صارت تتصرف هي الأخرى تصرف العقلاء، أليس هذا هو الكرم الرابغ، والجود السابغ؟**

**إذًا ليست الاستعارة هنا حلية شكلية توج بها النظم، وزين بها اللفظ، وإنما صعدت معنى الكرم، وبلغت بها الآفاق، فضلا عما فعلته من تشخيص عجيب، فجعلت الميت حيا وغير العاقل عاقلا، والجماد الصامت متحركا، تعبيرا عن معنى الكرم، وأفاضت على الجمادات من أحاسيس**

**البشر وعواطفهم، فكل ما ذكره الشاعر عن العطايا إنما يقصد به الكريم الذي لا يهدأ إلا بالبذل والعطاء.**

**وقد أشاد الإمام عبد القاهر بقيمة الاستعارة ونوه بفضلها وتأثيرها حين قال:**

**"إنها تجعل القريب بعيدا، والمعقول محسوسا، والخفي جليا... وتستنطق الجمادات وتشخصها، وتجسد المعاني وتبرزها، وتريك المعاني اللطيفة كأنها قد جسمت حتى تراها العيون..." "١".**

**والاستعارة الثانية استعارة تصريحية في قوله "إذا لم يُعوّذْها برقية طالب" وكلمة يعوذها من متممات الاستعارة الأولى التي جعلت العطاء مجنونا، ولا يسكن إلا إذا عوذه وسكنه بالبذل، والاستعارة التصريحية هنا في كلمة "رقية "، فجعل الشاعر أخذ الآخذ بمثابة العوذة التي يرقى بها الفزع أو المجنون، فجعل العطاء لا يهدأ إلا إذا بذله الباذل، ونالـه النائل، وهذه الاستعارة ترفع هي الأخرى من كرم الكريم، وتوحي بأن البذل للكريم شفاء، وجوده دواء، وعطاءه استقرار.**

**وقد أسهم المجاز الإسنادي في قوله "يجن جنونها" مع الاستعارتين في التأكيد على كرم الممدوح، وأنه بلغ في هذا الأمر القمة، وعلت فيه الهمة، وبالغ المجاز العقلي في هذا مبالغة قوية ولم يكتف بما فعلته الاستعارة من وصف العطاء بالجنون، بل صعّد المعنى أكثر من ذلك حين جعل الجنون هو المجنون مبالغة في جنون العطايا، فكأن فعل**

---

١ – أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني ١٤٢– ت / د / علي رمضان الحربي.

**الجنون تعدى العطايا إلى الجنون نفسه فجنّ هو الآخر، والعلاقة هنا علاقة المصدرية على طريقة قول أبي فراس"١":**

**سيذكُرني قومي إذا جَدَّ جِدُّهم ☆☆☆ وفي الليلةِ الظلماءِ يُفتقدُ البدرُ**

**الشاعر هنا وإن كان أبعد النجعة في الغلو، إلا أنه استطاع بلباقة أن يقربه من الصحة والقبول بلفظة "يكاد" التي ذكر البلاغيون أنها من مسوغات قبول المبالغة، وأنها تقربها إلى الصحة "٢"**

**وقد كان في نفس القاضي الجرجاني شيء من فكرة أبي تمام والتصوير الذي كشف عنها يقول:**

**"وما بالها يحوجها إلى الجنون ويلتمس لها العوذ والرقى، هلا فكّ أسرها، وقدم خلاصها، ولم ينتظر بها بنغمة الطالب" "٣".**

**وفضل عليه قول المتنبي :**

**وعطاءُ مالٍ لو عداه طالبٌ ☆☆☆ أنفقتَه في أن تُلاقي طالبًا**

وقول مسلم :

**أخٌ لي يعطيني إذا ما سألتُه ☆☆☆ ولو لم أعرِّض بالسؤال ابتدانيا**

وقول أبي تمام :

---

١ – البيت في ديوان أبي فراس ١١٦٥ / ش / د/ خليل النويهي – دار الكتاب العربي.

٢ – الإيضاح مع البغية ٤٩/٤، وخزانة الأدب للحموي ٢ / ١٢.

٣ – الوساطة ١٧٦

**فأضحتْ عطاياه نوازعُ شُرّدا ☆☆☆ تُسَائلُ في الآفاق عن كلِّ سائلِ**

*  *  *

# المبحـــــث الثـــــانـــي

## البشاشـــة خيـــــر من الإعطـــــاء

**قال شمس الدين البديوي[١]:**

**إذا المرء وافى منزلا منك قاصدا ☆☆☆ قراك وأرمته إليك المسالك**

**فكن باسما في وجهه متهللا ☆☆☆ وقل مرحبا أهلا ويوم مبارك**

**وقدم له ما تستطيع من القرى ☆☆☆ عجولا ولا تبخل بما هو هالك**

**فقد قيل بيت سالف متقدم ☆☆☆ تداوله زيد وعمرو مالك**

**بشاشة وجه المرء خير من القرى ☆☆☆ فكيف بمن يأتي به وهو ضاحك**

**الشاعر هنا يسوق نصائح وتوجيهات يحث الناس فيها على المعروف، وليس هناك مخاطب معين يخاطبه، أو ممدوح يستوهبه، ومن ثم جاء تعبيره عن الكرم ضعيفا.**

**ومن مظاهر هذا الضعف أن الناس يوافون المنزل قاصدين القرى دون أن تكون عندهم نية تدفعهم إلى كريم معين، وإنما الأقدار التي ساقتهم، والمسالك هي التي رمتهم، فالكريم لديهم غير معروف، والجواد غير مألوف، وإنما وافوا منزله عفوا.**

---

[١] – الأبيات في المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي ٤٩٨/١– دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ١٤٠٣ / ١٩٨٣م.

**ثم تتوالى من الشاعر الأساليب الإنشائية الطلبية "فكن باسما... متهللا... وقل مرحبا... وقدم له ما تستطيع... ولا تبخل..."، وهذه الأساليب إرشادية توجه الناس إلى البذل والنوال، وعدم التلكؤ في بذل ما هو عرضة للزوال، وما كان عرضة للزوال فبذله أسهل، وتصريفه في وجوهه أسمح، ولقاء العفاة بوجه بشوش خير من القرى، فكيف لو اجتمعا؟**

**والمتأمل في البيت يجد أنه قائم على الأسلوب التجريدي التقريري الخالي من التصوير، وهذا يتناسب مع فكرة التوجيه والإرشاد.**

**والكرم في الأبيات جاء خافتا، خاصة لو كان الشاعر يخاطب إنسانا معينا يستنزل صوب جوده، ويستمطر وبل كرمه، ولا أكون مبالغا إذا قلت إن صدور الأساليب بهذه الطريقة يدل على الشح الهالع عند المخاطب الذي استحق معه تلك التوجيهات، وكيف يقع قوله آمرا "فكن باسما في وجهه متهللا" من قول زهير"١":**

**تَرَاه إذا ما جئتَه متهلِّلا ☆☆☆ كأنَّك تُعطيه الذي أنتَ سائلهْ**

**فزهير يثبت البشاشة لممدوحه بدلالة التعبير باسم الفاعل "متهللا"، ويؤكد زهيرعلى لزوم العفاة للكريم ودوام مسألتهم، وهذا ما أشارت إليه أداة "إذا" التي تفيد القطع بوقوع الشرط، وأشار إليه اسم الفاعل "سائله"، لكن الذي يشفع للشاعر البديوي أنه لا يخاطب كريما معينا عكس**

---

[١] – شرح ديوان زهير لثعلب / ت.د. حنا ناصر الحتى – دار الكتاب العربي بيروت لبنان ١٤٢٤/ ٢٠٠٤م.

**زهير، وإنما هي إرشادات صدرت منه لفتح أبواب الكرم بين الناس، وهذا ما سار عليه الشافعي في قوله "١" :**

**وإنْ كثُرتْ عيوبُك في البرَايا ☆☆☆ وسرَّك أن يكونَ لها غِطاءُ**

**تستَّرْ بالسَّخاء فكلُّ عَيْبٍ ☆☆☆ يُغطِّيه كما قيل السخاءُ**

**وقول الآخر"٢" :**

**وعدّ من الرحمنِ فضلًا ونعمةً ☆☆☆ عليك إذا ما جاءَ للخيرِ طالبُ**

**ولا تمنعنّ ذا حاجةٍ جاء راغبا ☆☆☆ فإنَّك لا تدري متى أنت راغبُ**

**وقول عليّ "[٣]"**

**إذا جادتِ الدنيا عليك فجُدْ بها ☆☆☆ على الناسِ طُرا إنَّها تتقلَّبُ**

**فلا الجُود يُفنيها إذا هي أقبلتْ ☆☆☆ ولا البُخل يُبقيها إذا هي تذْهبُ**

---

[١] البيتان في ديوان الإمام الشافعي ١٠ /إعداد محمد إبراهيم سليم – مكتبة ابن سينا.

[٢] –نسب أبو علي القالي في آماليه البيتين إلى أبي الأسود الدؤلي يراجع الأمالي لأبي علي القالي، ت/ محمد عبد الجواد الأصمعي: دار الكتب المصرية ط: الثانية، ١٣٤٤ هـ – ١٩٢٦م، وذكرهما الأبشيهي في مستطرفه من غير نسبة ١٦٦/١.

[٣] – لأبيات في ديوان الإمام علي ٣٨– ت –نعيم زرزور – دار الكب العلمية – بيروت لبنان –ط١ ٢٠٠٣هـ/١٤٢٣م.

فأسلوب الشافعي ناصح مخلص، وموجه صادق إلى السخاء الذي إن اتخذه الإنسان شعارا محا عنه كل ما يشين، وجلب له كل ما يزين.

فقوله "تستر بالسخاء" أمر إرشادي، وفيه تصوير بياني جعل السخاء غطاء يستر العيوب والزلات، ويخفي الهنات والهفوات،على طريقة الاستعارة المكنية التي جعلت السخاء وقاية وصيانة تشمل صاحبها اشتمال الغطاء للابسه حفظا ورعاية.

فأسلوب الشافعي هنا بالنصح أوفق، وبالناس أرفق من البيتين التاليين اللذين منهما "وعدّ من الرحمن فضلا ونعمة..." "ولا تمنعن ذا حاجة جاء راغبا.. فإنك لا تدري متى أنت راغب".

فالشاعر وإن كان سلك طريق الإرشاد في نهيه "لا تمنعنّ" إلا أنه كان في شطر البيت الثاني قاسيا خشنا، يقول: إذا جاءك إنسان اليوم يرغب في نوالك فقد يأتي عليك يوم ترغب نواله، وترجو ماله، ويئول أمرك إلى مآله، وينقلب حالك كحاله، أي تعبير أجفى من هذا التعبير الذي لا يتناسب مع النهي الإرشادي السابق، ففرق بين تعبير مخوّف مرهب، وبين تعبير حاضّ مرغّب، كما في قول الشافعي رحمه الله.

فالشاعر هنا كان ذا حدة وشدة، وسلك في توجيهه طريق المخاشنة، أما الشاعر الأخير فقد سلك مسلك المهادنة حين قال:

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها... فما أحسن توجيهه، وما أندى تعبيره، وما أرق إرشاده، وما أجل نظمه، يقول: إذا أقبلت الدنيا عليك وجهها إلى الناس، وصرّفها إليهم عموما وشمولا، وكان الشاعر حانيا على المخاطب حين استعمل أداة القطع بوقوع الشرط "إذا" ويعلل الشاعر هذا

**الأمر الإرشادي بقوله "إنها تتقلب"، وهذا هو سر الفصل بين الجملتين؛ لما بينهما من شبه كمال الاتصال.**

**وأكد الشاعر تقلب الدنيا بأهلها بأداة "إنّ"، فالمخاطب الكريم وإن كان اليوم مجدودا، فقد يصير غدا مملقا مكدودا، لكن الشاعر كان رفيقا غاية الرفق حين عبر بقوله "إنها تتقلب"، وهذه العبارة وإن كانت تؤدي مؤدى عبارة الشاعر السابق "فإنك لا تدري متى أنت راغب" إلا أنها لم تصرح بمرارة تبدل الأحوال، وزوال المال، كما صرحت به هذه العبارة التي تذهب بجدوى الإرشاد؛ لأن النصح الخفيف أبقى ثمرة وأزكى هدفا من النصح العنيف.**

**ويتأنق الشاعر تأنقا بالغا في بيته الثاني :**

**فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت ☆☆☆ ولا البخل يبقيها إذا هي تذهب**

**فما أحلاها من مقابلة وأبهاها، فقابل الشاعر بين ثلاثة وثلاثة، فالبخل يقابل الجود، ويبقيها يقابل يفنيها، وتذهب تقابل أقبلت، وليست المقابلة هنا حلية شكلية لفظية، وإنما عرضت المعنى المقصود، والغرض المنشود في ألطف أسلوب، وأجمل تعبير، فليس الجود يذهب الدنيا حين تقبل، وليس البخل يبقيها حين تدبر، ولا يقف الجود لإقبالها دافعا، ولا يقف البخل لذهابها مانعا، فأقنعتنا المقابلة إقناعا لا يعتريه شك بأن الجود خير كله، وأن صاحبه مهما بذل فلن يضار، وأن البخل شر أمره، ومآل صاحبه إلى صغار.**

* * *

# المبحث الثالث

## الثنـــــاء والذكـــــر الجميـــــل

## مال مدّخـــــر

**وهذه أبيات وهي مما سبق أوقع، وللحث على الجود أوقع، لأن صاحبها صعّد دوافع السخاء أكثر من تصعيد السابقين لها، وهو قول حاتم الطائي لزوجته ماوية بنت عفير حين عابت عليه الإسراف فقال"[١]":**

**أماوِيُّ إنَّ المالَ غادٍ ورائحُ ☆☆☆ ويَبقَى من المال الأحاديثُ والذِّكرُ**

**أماويّ إنِّي لا أقول لسائلٍ ☆☆☆ إذا جاءَ يوماً حلّ في مالنا نزْرُ**

**أماويّ ما يُغْني الثراءُ عن الفتى ☆☆☆ إذا حشْرَجتْ يوما وضاقَ بها الصدرَّ**

**وتأمل أسلوب التكرار "أما ويّ" في الأبيات الثلاثة السابقة، وتكررها أيضا في الأبيات اللاحقة في القصيدة، إلا أنني اخترت من القصيدة أبرز أبياتها التي تصل بالكرم إلى منتهاه، معللة وجوده بتعليلات واقعية لا تجد النفس لها دفعا.**

**وهذا التكرار – وهو نوع من الإطناب – اقتضاه المقام وتطلبه السياق، فالحال إنكار زوجة على زوجها الغلو في الإسراف على العفاة، فكان هذا التكرار الذي يكشف عن نفس مشحونة من اللوم المصبوب**

---

[١] – الأبيات في ديوان حاتم الطائي ٢١٠ – ت / د / عادل سليمان الجمل – مطبعة المدني.

**عليها، فاندفعت في نبرة عالية، وعبارات متوهجة، وكلمات متأججة، مسبوقة بهذا التكرار المنفعل "أماوي".**

**فالشاعر وزّع انفعاله في هذا التكرار اللافت، وللتكرار مقاماته التي يكون فيها "بحيث لو حذف لكان التعبير مبتورًا كصيحة لم تتم أو جملة لم تكتمل" "١".**

**ثم أخذ الشاعر يرفع اللوم عن نفسه بجمل مؤكدة وغير مؤكدة "إن المال غاد ورائح" "ويبقى من المال الأحاديث والذكر"، "إني لا أقول لسائل...حل في مالنا نزر"، أي قلّ مالنا فلا نعطيك، "ما يغني الثراء عن الفتى" إذا حلّ به الموت.....عبارات متنوعة، وتبريرات مقنعة، ودوافع ناصعة، أنصع من دافع الشافعي السابق على السخاء من أنه غطاء للعيوب، وأقنع من دافع الآخر القائل "لا تمنعنّ... راغبا... فإنك لا تدري متى أنت راغب"، وأوقع من دافع الثالث: فجد بالدنيا "إنها تتقلب".**

**نعم قد يشترك حاتم مع هؤلاء في قوله "إن المال غاد ورائح فمؤدى هذه العبارة مؤدى عباراتهم إلا أن حاتما نص صراحة على مجيء المال وذهابه، وحضوره وغيابه، ولا شك في أن التنصيص على هذا في سياقات الحث على الجود للنفس أقنع، ولبخلها أصدع.**

**ولعل في تقديم "غاد" على "رائح" تحقيقا لمعنى التسرية لزوجته اللائمة، وتسكينا لقلبها، فالمال أكثر ما يجيء، وإن راح فهناك الأبقى أثرا، والأرفع قدرا، وهو الثناء الجميل والذكر الحسن، وهذا ما طلبه خليل الرحمن**

---

[١] – في البلاغة القرآنية لأستاذنا الدكتور صبّاح عبيد دراز ٢٠١.

"واجعل لي لسان صدق في الآخرين" (سورة الشعراء ٤٨)، وهذا ما امتن الله به على حبيبه ومصطفاه محمد صلى الله عليه وسلم "ورفعنا لك ذكرك" (الشرح ٤).

ولعلك تلمح ذكاء حاتم حين جعل الأحاديث والذكر من المال المدّخر، فهما الباقيات بعد ذهاب المال وصاحبه، أفليس في هذا إقناع وأي إقناع لزوجته اللائمة؟

ثم ينفي حاتم عن نفسه ما عساه يخدش في كرمه، ويقدح في جوده، وهو أنه لا يقول للسائل إذا جاءه أحلّ القلّ في مالنا؛ ليعتذر له بعدم عطائه، فليس الإقلال متكأً للإمساك عن النوال، وليس هذا من شيم الكريم المبذال، بل هو منفاق في كُثْره وقُلِّه، ووُجْدِه وكَدِّه، وفي تقييد الفعل "إذا جاء يوما" تأكيد لمجيء السائل وتحقيق لسؤاله.

وما زالت التبريرات تنساق تترى لإسكات اللائمين، وبلغت حد الإقناع، فذكرت الموت الذي لا ينفع معه ثراء عريض، وروض أريض، فما جدوى الشح بالمال إذن؟

ولك أن تعيد الكرة، مرة بعد مرة في الأبيات السابقة؛ لتوازن بينها، فستدرك أن الموت الذي أكد عليه حاتم هو أكثر الدوافع حضا على العطاء، أما دوافع الآخرين بأن السخاء غطاء للعيوب، والدهر حُوّل قلّب، وأن الواجد المكثار قد يصير إلى حال من الفقر والإشفاق، والضيق والإملاق، أقول كل هذه دوافع تضؤل إذا ما قيست بالموت في أبيات حاتم.

ولا يقال إن حاتما لم ينص على العطاء، وهذا تقليل من كرمه، أقول إن حاتما هنا كان يركز على دافع سخائه، ولا شك في أن الدافع الذي ذكره من أقوى الدوافع.

وهناك تعبيرات لحاتم كثيرة تكشف عن العطاء والبذل منها قوله "١":

سَلِي الطَّارقَ المُعْتَرَّ يا أمَّ مالكٍ ☆☆☆ إذا ما أتاني بين ناري ومَجْزَري

أأبسُطُ وجهي إنَّه أول القِرَى ☆☆☆ وأبذُلُ معروفي له دون مُنكَرِي

فذكر أن الطارق ليلا المتعفف عن السؤال يأتيه بين ناره الموقدة والمكان الذي ينحر فيه، وذكْر النارِ دليل على كرمه؛ لأن الكريم كان يوقد النار ليلا؛ ليهتدي بها الضيفان، أما البخيل فلا نار له.

فحاتم يطلب من امرأته أن تدعو الطارق إلى الطعام، فإذا جاء وجد انبساط وجه مألوف، وقرى معروف.

وصاغ حاتم بسط الوجه بأسلوب استفهام، وهو ليس على حقيقته بل أفاد معنى التقرير والتأكيد على بسط وجهه وتهلله، وهذا ما أشار إليه زهير سابقا في قوله: "تراه إذا ما جئته متهللا".

---

[١] – الأبيات في الديوان ٣٠٠.

ثم يؤكد حاتم على أن بسط الوجه للطارق هو أول القرى وليس آخره "إنه أول القرى"، وأكد ذلك لإزالة الاستغراب الذي قد يعتري بعض الناس من أن بسط الوجه مظهر من مظاهر الكرم.

ثم ثنّى حاتم ببذل المعروف وهو آخر القرى، وجاءت صيغ البسط والبذل في صورة المضارع دلالة على تجدده واستمرار هذين الفعلين، ولا أعلم أحدا من الشعراء – فيما قرأت– جعل للقرى أوّلا، وجعل للكرم درجات يرتقي فيها مثلما فعل حاتم.

نعم هناك من الشعراء من جعل الهشاشة خيرا من القرى كما في أبيات شمس الدين البديوي السابقة:

**بشاشةُ وجْهِ المرءِ خيرٌ من القِرى ☆☆☆ فكيف بمَن يأتي به وهو ضاحك**

وقول الآخر:

**إذا أنتَ تعطي ضاحكا مستبشرا**. وهناك من جعل الحديث نوعا من القرى كقول طفيل الغنوي أو مسكين الدارمي:

**أحدثه إن الحَديث من القْرى... وَتعلم نَفسِي أنه سَوف يهجع**

وهناك شاعر آخر اقترب من حاتم في ذكر دافع الكرم لكنه لم ينص صراحة على الموت وضيق الصدر بالروح كما نص حاتم يقول"١":

**اللهُ أعطاكَ فابذُلْ من عطيَّته ☆☆☆ فالمالُ عاريةٌ والعمرُ رحَّالُ**

---

[١] – موسوعة الشعر الإسلامي ١/١٢.

**المالُ كالماءِ إنْ تُحْبَسْ سَواقِيه ☆☆☆ يأسَنْ وإن يَجْرِ يَعْذُبْ منه سَلسالُ**

فالشاعر هنا أضاف شيئا جديدا هنا، وهو أن التنصيص على المال عارية، ومعلوم أن كل عارية مستردة، وهذا أقوى دافعا للعطاء، وهو عندي أبرز وأقوى من الدوافع السابقة "فإنك لا تدري متى أنت راغب" "إنها تتقلب " وقوله هنا "والعمر رحال" هو معنى ما ذكره حاتم "إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر"، لكن تعبير حاتم أقوى وأرهب، وللصدقة أرغب.

وقول الشاعر هنا "الله أعطاك فابذل من عطيته" أحسن مبني، وأصدق معنى من القول السابق "إذا جادت الدنيا عليك فجد بها"، فأسند العطاء لمصدره وهو الواهب سبحانه وتعالى، ثم إن الشاعر كان دقيقا حين حصر العطاء في الله، وأنه وحده هو الواهب للنعم، وهذا مفهوم من تقديم المسند إليه "الله" على الخبر الفعلي "أعطاك"، ثم يأتي الأمر الإرشادي "فابذل من عطيته".

وتعلو دقة الشاعر حين اختار مادة البذل وصاغ منها الأمر، والبذل في كتب اللغة تعني العطاء عن طيب نفس، وهذا ما تعنيه أيضا كلمة "جُدْ" في العبارة السابقة، ولعل الشاعر هناك أسند الجود إلى الدنيا باعتبارها زمنا على طريقة المجاز العقلي.

ولنا أن نقف وقفة متأنية عند التشبيه في البيت الثاني:

**والمالُ كالماءِ إن تُحْبَسْ سَواقِيه ☆☆☆ يأسَنْ وإنْ يَجْرِ يعْذُبْ منه سَلسالُ**

ولا تتضح قيمة هذا التشبيه، ولا تظهر روعة هذه الصورة وأثرها في إظهار مقصود الشاعر إلا إذا قابلناها بصورة أخرى تحمل الفكرة نفسها في البيت الثاني من قول الشاعر"١":

**إنَّ الكريمَ الذي لا مالَ في يدِه ☆☆☆ مِثْلُ الشُّجاعِ الذي في كفِّه شَلَلُ**

**والمالُ مثلُ الحَصَى ما دام في يَدِنا ☆☆☆ فليسَ يَنفعُ إلا حين يَنْتقلُ**

ففكرة الصورتين واحدة، وهي عدم جدوى المال في حال إمساكه وادخاره.

لكن المتأمل يجد أن تشبيه الشاعر الأول "والمال كالماء" أدق وأروع، وأحسن وأقنع، لأنه استطاع أن يختار صورة المشبه به التي تكشف عن غرضه، وهو الماء الذي شبّه به المال، والماء – كما هو معلوم – تعتريه صفات الصلاح والفساد، فهو يصلح إن تجدد وتحرك، فإن حبست سواقيه، وحجبت عيونه فسد وأسن، وعفن ونتن، وهذا ما عناه الشافعي حين قال:

**إنّي رأيتُ وقوفَ الماءِ يُفْسده ☆☆☆ إنْ سالَ طابَ وإن لم يَسِلْ لم يَطِبِ**

فكان وجه الشبه أوضح في صورة المشبه به، ومن ثم فإن الشاعر أقنعنا بأن المال يفسد بإمساكه، ويصلح بإنفاقه، فضلا عن المناسبة الرائعة بين المال والماء، فالمال هو إكسير الحياة، به

---

١ – البيتان في جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي ٢/ ٤٨٠/ ت / مؤسسة المعارف، بيروت.

يستقيم أمر البلاد والعباد، وكذلك الماء أصل الحياة، فلا حياة بدونه، ناهيك عن الجناس الرائع بينهما، مما يجعلنا نجزم بأن الشاعر كان دقيقا للغاية حين اختار الماء صورة للمشبه به، وكان بارعا في الشطر الثاني الذي جعله من متممات المشبه به "إن تحبس سواقيه يأسن وإن يجر يعذب منه سلسال".

وتأمل كلمة "يعذب"، والعذوبة تكون في الماء الحلو السائغ الذي يروي الظِّماء، فهي تدل على أن هبات الممدوح لها في نفوس الناس حلاوة ولذاذة كلذاذة الماء العذب، وفيها إشارة أيضا إلى طيب أثرها؛ لأنها هنيئة مريئة كالماء العذب، ثم إن كلمة سلسال تدل على أن العطاءات متواصلة لا يعتريها فتور، ولا يشوبها قصور، ولا يعيبها انقطاع؛ لأن من معاني السلسال الاتصال، يقال "تسلسل الماء أي جرى في حدور أو صَبَب، ومنه السِّلسلة، وهي اتصال الشيء بالشيء" "١".

ففيه معنى التتابع، وقيل الماء السلسال هو العذب الصافي السلس السهل إذا شرب تسلسل في الحلق"٢".

أما الشاعر الثاني فصورة المشبه به عنده هي"الحصى"، "والمال مثل الحصى ما دام في يدنا"، ولا أدري التناسب بين المال والحصى، فالشاعر يقصد عدم جدواه إذا كان

---

١ – لسان العرب مادة "سلسل".

٢ – نفسه.

**المال في أيديهم، فإذا انتقل إلى غيرهم نفع، لكن أين موقع الحصى من مقصود الشاعر؟ فإن المشبه به لم يكشف له غرضا، ولم يحقق له هدفا، لأن عدم جدوى المال وانتفاء نفعه إذا كان في أيديهم لا تتضح في صورة الحصى، لأن الفهم العربي السائد للحصى إنما هو الكثرة، ومنه صدر الزمخشري حين استكثر ذنوبه، واشتكى عيوبه فقال"١":**

**مُتعوِّذٌ بالرُّكنِ يدعو ربَّه ☆☆☆ يشكو جرائرَ بعدَهنَّ جرائرُ**

**يشكو جرائرَ لا يُكاثرُها الحَصَى ☆☆☆ لكنَّها مثلُ الجبالِ كبائرُ**

**فكان هذا التشبيه على الشاعر لا له، ثم إن صورته الأولى في البيت الأول "إن الكريم الذي لا مال في يده" "مثل الشجاع الذي في كفه شلل" صورة معيبة هي الأخرى، والتشبيه لم يكن دقيقا بالقدر الذي يكشف عن غرض الشاعر، فإن الشاعر يعني تشبيه الكريم الذي لا مال له بالشجاع الذي في يده شلل، والوجه بينهما أن كلا منهما موقوف عن تنفيذ مراده مع أن هناك همة موارة في نفوسهم، فالكريم لا يجد ما يبذله، فقد صحّ قصدُه، وضاق صَفَدُه، كما قال حافظ إبراهيم"٢":**

---

١ – الأبيات في ديوان الزمخشري ٣٩٣ ت /عبد الستار ضيف مؤسسة المختار – ط الأولى١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

٢ – ديوان حافظ إبراهيم ٢ / ٧ – ت /أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري – دار العودة.

**لا تَلُمْ كفِّي إذا السَّيفُ نَبَا ☆☆☆ صَحَّ منِّي العزْمُ والدَّهْرُ أبَى**

**وعلى طريقة المثل العربي "بيْتي يبخَلُ لا أنا" "١".**

**كما أن الشجاع الباسل يمنعه من الضرب خَلَل، ويُقعده شَلَل، ومع هذه المناسبة الشكلية فإن في هذا التشبيه قوادح منها:**

**انعدام جهة التناسب بن الصورتين المقيدتين، فالإملاق الذي يقع فيه الكريم لا يناسبه الشلل الذي يعتري الشجاع ؛لأن الشلل مرض عضوي يقعد عن الحركة إقعادا تاما لا يستطيع الشجاع معه أن يفعل ما تحدثه به همته، وتحضه عليه عزيمته، أما إملاق الشاعر فلا يعوقه عن إصابة معنى الجود ولو في أدنى أشكاله، فقد يجود الإنسان بالحال، إن فاته الجود بالمال، وقد يكون الجود بتهلل الوجه، وقد يتحقق الجود بالعبارات الندية، كما قال المتنبي:**

**لا خيلَ عندك تُهديها ولا مالُ☆☆☆ فلْيُسعدِ النطقُ إن لم يُسْعدِ الحالُ**

**وللشعراء طرائق في التعبير عن الكرم سلكوا فيها مسلك المبالغات وهي مقبولة، كالجود بالروح والشباب يوم لقاء البيض، والسخاء بالخيل المركوب، وقت اشتداد الحروب، وقد صاغ الشعراء هذه المعاني، تأملها في قولهم:**

---

[١] – المثل في مجمع الأمثال للميداني ١ / ٤٠/ ت / نعيم زرزور./ دار الكتب العلمية / بيروت لبنان ط٢ ٢٠٠٤هـ /١٤٢٥م.

**قال زهير "[١]":**

**تَرَاه إذا ما جئتَه مُتهلِّلا ☆☆☆ كأنَّك تُعطيه الذي أنتَ نائلُهْ**

**ولو لم يكنْ في كفِّه غيرُ رُوحه ☆☆☆ لجادَ بها فليتَّقِ اللهَ سائلُهْ**

**وقول مسلم بن الوليد"[٢]":**

**يَجودُ بالنَّفسِ إذا ضَنّ البخيلُ بها ☆☆☆ والجودُ بالنَّفسِ أقصى غايةِ الجودِ**

**وقال البحتري "[٣]":**

**ماضٍ على عزْمِه في الجُّودِ لوْ وَهبَ الشَّـ ـبابَ يومَ لقاءِ البِيضِ ما ندِما**

**وقال المتنبي "[٤]":**

**كريمٌ متى اسْتُوهِبْتَ ما أنتَ راكبٌ ☆☆☆ وقدْ لَقِحَتْ حَرْبٌ فإنَّك نازلُ**

**ويروى "بازل"**

**بل إن بعض الشعراء عدَّ قدوم الضيف على الكريم المملق خصبا، قال "[١]" :**

---

[١] – ديوان زهير ٩٢ شرح علي حسن فاتور – المكتب العلمي – بيروت لبنان ١٤٠٨ / ١٩٨٨م.

[٢] – ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ١/ ١٠٤الناشر: دار الجيل – بيروت.

[٣] – ديوان البحتري ٢٠٤٦/٣ – ت / حسن كامل الصيرفي ط٣ – دار المعارف.

[٤] – ديوان المتنبي ٢/ ١٣٠ / ت /مصطفى سبيستي – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ط٢ ٢٠٠٣ / ١٤٢٤م.

**أُضاحِكُ ضيْفي قبلَ إنزالِ رَحْلِه ☆☆☆ ويَخْصُبُ عندي والمحلُّ جديبُ**

**فما الخِصْبُ للأضيافِ أنْ يَكْثُرَ القِرَى ☆☆☆ ولكنَّما وجْهُ الكريمِ خصيبُ**

**ثم إن الشلل يضفي على الصورة قتامة وتشاؤما، بخلاف الإملاق الذي قد يستشعر فيه صاحبه راحة ما، ثم إن الشلل قلّ أن يبرأ منه صاحبه، أما الأموال فتروح وتجيء، وتقل وتكثر.**

**فكيف يسوغ بعد ذلك إلحاق الكريم الذي لا مال له بالشجاع الذي اعتراه شلل، وأين الشلل الذي اعترى الحطيئة الشاعر المملق الذي لا يملك نقيرا ولا فتيلا، وقدم عليه ضيف فأبى الاعتذار، وصاغ على لسان ابنه العجب العجاب، ما يذهل له أولو الألباب، فقال من قصيدة طويلة "[٢]":**

**رَأى شَبَحا وسْط الظلامِ فراعَه ☆☆☆ فلمَّا رأى ضيْفا تَشمَّر واهتمَّا**

**فقالَ هَيَا ربَّاه ضيفٌ ولا قِرى ☆☆☆ بحقِّك لا تحْرمْه تا لليلةَ اللَّحما**

**وقالَ ابنُه لمَّا رآه بحَيْرَةٍ ☆☆☆ أيَا أبتِ اذبحْني وهيِّئ له طُعُما**

---

[١] – البيتان في العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ١٩٧/١/ دار الكتب العلمية – بيروت ط الأولى، ١٤٠٤ هـ، ونسبهما ابن عبد ربه إلى حاتم الطائي، وهما ليسا في الديوان، ونسبهما ابن قتيبة في الشعر والشعراء إلى يعقوب الخريمي. يراجع الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري ٨٤٥/٢– دار الحديث، القاهرة ١٤٢٣ هـ.

[٢] – الديوان ٢٧١ ، ٢٧٢– شرح أبي سعيد السكري – دار صادر بيروت ١٤٠١ / ١٩٨١ وروايات الديوان "بدا ضيف تسوّر..." اذبحني ويسّر...." علّ الذي طرا...من الفعل طرأ.

**ولا تعتذرْ بالعُدْم عَلّ الذي ترَى ☆☆☆ يظنُّ لنا مالا فيُوسِعُنا ذمَّا**

فهذا من أعلى درجات الكرم، لكن شابَ كرمَ الحطيئة شائبة، وهي أن دافع كرمه كان الخوف من التهم والملام، ودفع الظنون والأوهام؛ خشية أن يُظنَّ به البخل، وفي مثل هذه المقامات ينبغي أن يكون الكرم سجية وطبعا، يصدر بلا دافع.

وحتى لا أستطرد بعيدا عن الصورة المعيبة التي نحن بصددها أقول إن المشبه به الشجاع الذي في يده شلل قعد بالشاعر عن بلوغ مراده، وكان الشافعي رحمه الله أبرع منه حين عبر عن الفكرة نفسها بأسلوب تجريدي لا تصويري، فأبدع وأمتع، وكشف وأقنع، قال"١" :

**أرَى نفْسي تَتوقُ إلى أمورٍ ☆☆☆ يُقَصِّر دُونَ مَبلَغِهنِّ مَالي**

**فنفْسي لا تُطاوعُني ببخلٍ ☆☆☆ ومالي لا يُبلِّغني فِعالي**

ومع هذه التجريدية الواضحة في الأسلوب إلا أنه استطاع أن يحقق ما لم يحققه التصوير السابق المعطوب، فكشف الشافعي عن نوازع الكرم التي تمور في نفسه، وهي كثيرة، كشف عن هذه الكثرة تنكير كلمة "أمور" و الفعل "تتوق" يدل على التجدد، فإن نفسه متطلعة إلى الكرم.

---

[١] – البيتان ليسا في الديوان، وذكرهما الجرجاني في الوساطة لإسحاق الموصلي ٣٨٦.

وعود إلى أبيات الحطيئة، ووقوف على رفض الابن اعتذار أبيه بالعُدْم، أقول إن إباء الكرماء عن الاعتذار بالعدم كان طريقا لاحبا، ولجه الشعراء وسلكوه، ومنهجا واضحا اتبعوه، وهذا يكشف عن اتفاق بين الفطر السوية، وفكرة الحطيئة هذه سبقه بها حاتم الطائي حين أبى الاعتذار وقال لزوجته وقد سبق:

**أماويّ إنِّي لا أقولُ لسائلٍ ☆☆☆ إذا جاءَ يوما حَلَّ في مالنا نَزْرُ**

وقد عد الشافعي رحمه الله الاعتذار بالعدم مصيبة من المصائب، وأكدّ هذا المعنى بتوكيدين؛ تحقيقا لفكرته، وتقريرا لوجهته، يقول"[١]":

**إنَّ اعتذاري إلى مَنْ جاءَ يسألُني ☆☆☆ ما ليسَ عندي لَمِنْ إحدى المصيباتِ**

ومن ثم تفنن الشعراء في فتح أبواب الكرم كما استبان لك سابقا؛ تجنبا للاعتذار.

وهذا آخر يتفانى في إرضاء السائل حتى لو طلب منه كرى عينيه لأعطاه إياه، واستغنى بالسهر عن النوم، قال"[٢]" :

**متيّمٌ بالنَّدى حتى لو قال سائلُهُ ☆☆☆ هبْ لي كَرَى عينيك لم ينمْ**

ولفظة "متيّم" تدل على شغف الممدوح بالعطاء، وأنه بلغ فيه مبلغا كبيرا لدرجة أنه يوهب النوم، ويظل ساهرا.

---

[١] – البيت في الديوان ٣٣.

[٢] – لم أقف على قائله.

وحذف الشاعر المسند إليه في قوله "متيم" والتقدير هو متيم للدخول السريع إلى محاسن الممدوح، ومقامات المدح غالبا ما يكثر فيها هذا الحذف تعجيلا بذكر ما يمتدح به الكريم، كقولهم وهو من شواهد البلاغيين في الحذف "[١]":

**سريعٌ إلى ابنِ العمِّ يلطُم خدَّهُ ☆☆☆ وليس إلى داعي النَّدى بسريعِ**

ومع هذا فإن هذا الشاعر قصُر عن اللحاق بزهير الشاعر الذي لا يضنّ ممدوحه بروحه إن سئلها "لو لم يكن في كفه غير روحه ... لجاد بها فليتق الله سائله".

وبذل الروح أبلغ من بذل النوم؛ لأن بذل الروح موت، وبذل كرى العين سهر وأرق، وشتان ما بينهما.

كما كان زهير أبلغ في التعبير عن الكرم من البحتري والمتنبي في بيتيهما السابقين وهما:

قال البحتري:

**ماضٍ على عزْمه في الجودِ لو وهبَ الشَّـ ـبابَ يومَ لقاءِ البيضِ ما ندِما**

قال المتنبي :

**كريمٌ متى اسْتُوهِبْتَ ما أنتَ راكبٌ ☆☆☆ وقد لَقِحَتْ حَرْبٌ فإنَّك نازلُ**

---

[١] – نسبهما صاحب البغية إلى المغيرة بن عبد الله المعروف بالأقيشر الأسدي ٧٢/١.

**فشتان بين البذل بالشباب والخيل المركوب وبين بذل الروح، وإن كان ممدوح البحتري أكرم من ممدوح المتنبي؛ لأن الجود بالشباب أسمى من الجود بالخيل، فمن فقد خيله في معامع الحروب يمكنه أن يحارب راجلا، تساعده قوته، وتؤازره فتوته، ويؤنسه شبابه، أما فاقد الشباب فسيفه مفلول، وعزمه معلول.**

**وهناك رواية ذكرها الشيخ يوسف البديعي في بيت المتنبي وهي "باذل" من البذل بدل كلمة "نازل"، قال: وهي أجود من نازل إلا أنه أثنى على بيت البحتري ووافقه على ذلك محققو كتابه الصبح المنبي قالوا: نحن نوافق على أن البحتري أجود لأن الشباب أعلى ما يحرص عليه الإنسان فهو الحياة "١".**

**وقد تضافرت في البيت خصائص بلاغية جعلت كلا منهما يتفوق على الآخر من وجوه، وقد كشفت عن ذلك في بحث سابق أسميته "الشواهد الجرجانية للمعنى الواحد واللفظ المتعدد في كتاب دلائل الإعجاز: تحليل وموازنة للقسم الأول".**

**وبعد بيت زهير السابق قوله "[٢]":**

---

[١] – الصبح المنبي عن حيثية المتنبي للشيخ يوسف البديعي وهامشه ١٠٤ ت/ مجموعة من الأساتذة، ويراجع الشواهد الجرجانية في المعنى المتحد واللفظ المتعدد للباحث ١٠٩٩، ١١٠١ مستلة من حولية كلية اللغة العربية العدد الخامس والعشرون ط ١ ٢٠٠٦.

[٢] – رواية الديوان " أخي ثقة لا تتلف الخمر.....ولكنه قد يهلك المال... الديوان ٩٢ ، والبيت السابق هو :

تراه إذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذي أنت سائله.

**أخو ثقةٍ لا يُذهبُ الخمرُ مالَه ☆☆☆ ولكنَّه قد يذهبُ المالَ نائلُه**

**تجده تأنق فيه تأنقا واضحا جعل القاضي الجرجاني "١" يفضله على قول عنترة "[٢]" :**

**وإذا صحوتُ فما أُقَصِّرُ عن نَدًى ☆☆☆ وكما علمت َشمائلي وتكرُّمي**

**ومدح " ثعلب" هذا البيت وجعله من الأبيات الغر التي إن قرأت صدرها انكشف لك عجزها "٣" وحمده أيضا ابن أبي الإصبع، وذكر أن فيه لونا بديعيا وهو الاستدراك والرجوع، فلو اقتصر زهير على الشطر الأول "أخو ثقة لا يذهب الخمر ماله" دل على أنه موفور، وتلك صفة ذمّ، فاستدرك بما يزيل هذا الاحتمال، وتخلص الكلام للمدح المحض"٤"، وكشف لنا قدامة عن سبب حسن بيتي زهير وهو أنه كشف عن الصفات الإنسانية التي يمدح بها الناس من السماحة والشجاعة والبذل والعفة "[٥]".**

---

[١] – الوساطة ١/ ٧٩.

[٢] – شرح المعلقات السبع للزَّوْزَني١/٢٤٣: دار إحياء التراث العربي الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢ م.

[٣] – قواعد الشعر لثعلب ١/٧٤ ت: رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.

[٤] – تحرير التحبير٣٣٣.

[٥] – نقد الشعر لقدامة بن جعفر٩٧، ٩٨ ت/ د/ محمد عبد المنعم خفاجي/ دار الكتب العلمية / بيروت لبنان.

**وأرى أن زهيـرًا ضـعُف نفَسُـه، ووهـن حسُّـه فـي الشـطر الثـاني "ولكنـه قـد يـذهب المـال نائلـه" فقلّـل مـن العطـاء بلفظـة "قـد" التـي نكبـت عن معنى التحقيق.**

* * *

# المبحـــث الرابـــع

## العبـــودية فـــي الكـــرم

**قال عنترة، وقيل المقنع الكندي"[١]":**

**وإنِّي لَعبدُ الضَّيفِ ما دام نازلا ☆☆☆ وما شِيمةٌ لي غيرُها تُشْبهُ العبدا**

**وقال الآخر"[٢]" :**

**يا ضيفَنا لو جئتَنا لوجدتَنا ☆☆☆ نحنُ الضيوفُ وأنتَ ربُّ المنزلِ**

**والمتأمل في البيتين يجد أن عنترة أصدق تعبيرا عن الكرم من الثاني، وكان أ شد تفانيا في خدمة الضيف، وجاء تعبيره موشّحا بخصائص بلاغية كان لها أثرها في الكشف عن مقصوده، فهو يعلن في اعتداد واعتزاز أنه يقف من ضيفه موقف العبد من سيده، ولا يقصر في القيام بحقه، فهو عبد لضيفه ما دام نازلا عنده، وهو يفتخر بهذه الصفة، فلو لم يكن له غير هذه الصفة لكفته.**

---

[١] – البيت ليس في ديوان عنترة، وذكر صاحب الأغاني أن البيت لعبد الله بن قيس المنقري برواية :

وإني لعبد الضيف من غير ذلة وما بي إلا تلك من شيم العبد.

الأغاني ٤٥/٤ ونسب البيت في الكامل للمبرد إلى المنقري أيضا. الكامل في اللغة والأدب ١٥٩/١.

[٢] –البيت في المستطرف للأبشيهي ١٨٥/١.

وقد صاغ هذه الفكرة في تعبير قوي مؤكد ب"إنّ" واللام الداخلة على خبر إنّ "لعبد " وكان هذا التأكيد نابعا من إحساسه بواجب الضيف عليه، وأن التفاني في خدمته، والارتماء تحت قدمه سيادة وعز وفخار، وأن الشح والبخل مهانة وذل وصغار، وهذا ما جعل عنترة يلصق بنفسه عن رضا واقتناع صفة العبودية التي طالما ظل مجاهدا ومجالدا، ومدافعا مستميتا مع أبيه وقومه كي يبرأ منها، ويظفر بنسيم الحرية.

لكن عنترة في هذا المقام لا يستنكف أن يكون عبدا لضيوفه كرما ونجدة.

وذكر "ثعلب " في قواعد الشعر أن التشبيه في البيت "وإني لعبد الضيف...من التشبيه الخارج عن التعدّي والتقصير "١" وهذا يعني استحسان ثعلب له، لكنه يفضل عليه قول قيس بن عاصم المنقري:

**وإنِّي لَعبدُ الضَّيفِ من غيرِ رِيبةٍ ☆☆☆ وما فيّ إلا تلك مِنْ شِيمةِ العبدِ**

" التشبيه فيهما واحد، وإن كنت أرى أن بيت قيس بن عاصم أدق في التعبير عن الكرم من قول عنترة "[٢]"

ولعل "ثعلب" نظر في التفضيل إلى القيد في بيت قيس" من غير ريبة "وهو نفي كل شك في هذا التشبيه، وفي أسلوب القصر

---

[١] – قواعد الشعر ٣٦/١.

[٢] – السابق.

"وما في إلا تلك...يؤكد علي اعتداده بذلك، وأنه ليس فيه من شيم العبد إلا خضوعه لضيفه، وارتماؤه بين قدميه.

أما الشاعر الثاني فقصّر تقصيرا بيّنا عن عنترة، ولم يستطع اللحاق به في هذا الشأو، فجعل الشاعر نفسه ضيفا، وجعل الضيف صاحب البيت،وهذا ليس فيه مظهرعملي، ودليل واقعي، على التفاني في خدمة الضيف.

نعم قد يكون فيه من الأنس والارتياح ما يزيل الوحشة عن الضيف، فيجعله يتصرف في البيت كأنه صاحبه، لكن ترك الضيف يقوم بمهام نفسه ليس فيه من علو الخدمة، وشرف الابتذال الموجود في بيت عنترة، ثم إن وجود كلمة " لو "في قوله : " لو جئتنا " يقدح في كرم الشاعر، فهي تشعر بأن بابه ليس مطروقا، وبيته ليس معروفا، وأن مجيء الضيف ليس محققا، ومع هذا فإنه أحسن حالا من قول سيف الدولة"[١] ":

**مَنزِلنا رحْبٌ لِمَنْ زارَه ☆☆☆ نحنُ سواءٌ فيه والطارقُ**

**وكلُّ ما فيه حلالٌ له ☆☆☆ إلا الذي حرَّمه الخالقُ**

فجعل سيف الدولة نفسه وطارق بيته سواء في البيت، فهما صاحباه، فالضيف يجد فسحة في البيت ويتصرف فيه تصرف صاحبه، لكن الشاعر السابق جعل نفسه ضيفا وجعل الضيف رب المنزل، وهذا أبلغ في الكرم، وما أطرف تعبيره في البيت الثاني

---

[١] –البيتان في المستطرف للأبشيهي ١/١٨٥.

الـذي حلّـل لضـيفه كـل شـيء فـي البيـت كرمـا وجـودا، وحـرّم عليـه مـا حرمـه الخـالق سـبحانه، وهـو التمتـع بالزوجـة، والتعبيـر عـن الزوجـة باسـم الموصـول " الـذي " تعبيـر لطيـف، فيـه سـتر شـفيف، وإمعانـا فـي التسـتر عبـر باسـم الموصـول المـذكر تعميـة وإبهامـا، ولـم يقـل إلا التـي حرمها الخالق وهو الأصل.

وقد دار دعبل الخزاعي في هذا المعنى حين قال"١" :

**اللهُ يعلمُ أنَّه ما سرَّني ☆☆☆ شيءٌ كطارقةِ الضيوفِ النُّزّلِ**

**ما زلتُ بالترحيبِ حتى خِلتُني ☆☆☆ ضيفا له والضيفُ ربُّ المنزلِ**

لكـن دعبـل ضـعّف هـذا المعنـى بلفظـة "خلـت " بمعنـى ظننـت، والظـن علـم مـن غيـر يقـين ولـو اسـتعمل ألفـاظ القطـع لكـان أحسـن، كـأن يقـول مـثلا " مـا زلـت بالترحيـب حتـى وجـدتني " أو " حتـى رأيتنـي "

وتلحـظ أن الشـاعر جعـل طـروق الضـيف مـن أعظـم دواعـي سـروره، وأكبـر أسـباب حبـوره، وتنكيـر كلمـة "شـيء" دلالـة علـى الكثـرة، يعنـي مـا سـره أي شـيء سـوى طـرق الضـيف منزلـه، وفـي جمع الضيوف تكثير لهم.

* * *

[١] – ديوان دعبل ٢٦٦ جمع د/عبد الكريم الأشتر – ط٢ دمشق ١٤٠٣/١٩٨٣م

# المبـــــحث الخامـــــس

## سمو الممدوح على البحر والغيث في العطاء.

**قال صفي الدين الحلي"[١]"**

**لو أشبهتْكَ بِحارُ الأرْضِ في كَرَمٍ ☆☆☆ لأصَبحَ الدرُّ مطروحا على الطُّرُقِ**

**أو أشبه َالغيثُ جودا منك منهملا ☆☆☆ لم ينجُ في الأرض مخلوقٌ من الغَرَقِ**

**مع قول ابن معصوم الحسيني المدني[٢]:**

**مَنْ قاسَ جَدْوى راحتَيك إذا هَمَتْ ☆☆☆ بالغيْثِ أخطأ في القياسِ وما دَرَى**

**إذ أنتَ تُعطي ضاحكا مستبشرا ☆☆☆ والغيثُ يُعطي باكيا مسْتَعْبِرا**

**واضح من البيتين أن الشاعرين تباريا في إظهار كرم الممدوح، واعتمد كل منهما على خصائص تركيبية،ودلائل واقعية إمعانا في الإقناع.**

**فالأول اعتمد على أسلوب التشكيك في أن البحار والغيث – وهما رمز الجود والسخاء – لا يرتقيان إلى مشابهة الممدوح، وساق دليلا ملموسا على صحة دعواه، وهو أنه لو حصل بينهما**

---

[١] –الموسوعة العالمية للشعر العربي رقم القصيدة ١٩٧٥١، وجواهر الأدب للهاشمي ٦٢/٢.

[٢] –نفسه.

وبين الممدوح شبه لرأينا درا مطروحا على الطرقات، وما نجا أحد من الغرق، وهذا يعني أمرين :

أن الممدوح يعطي النفيس لا الخسيس، والغالي والرخيص،ويعني أن عطاءات الممدوح شملت الناس جميعا وغشيتهم، وهذا يكشف عن العطاء المنهمر على البلاد، المتدفق على العباد، وأنه من كثرته غطاهم وأحاط بهم بحيث لو كان ماء لأغرقهم، ولما لم يحدث الأمران، أي لم يحدث غرق، وما رأينا درا مطروحا على الطرقات ثبث ثبوتا يقينيا أن البحار والغيث أقصر وأضأل من أن يلحقا بالممدوح في ميادين الكرم.

أما الشاعر الثاني سكت عن ذكر البحار، وهي رمز الجود وأصل العطاء، ولولاها ما سكب الغيث ماء، واكتفى بذكر الغيث فقط، وساق دليلا هو الآخر على أن عطاءات الممدوح أفضل من عطاء الغيث، لأن الممدوح يعطي بسماحة واستبشار، والغيث يعطي بتجهم واستعبار، وهذا الدليل مع وجاهته وطرافته لا يقوى قوة الأول في الإقناع والإبداع، فالأول أفسح المجال للعقل يتأمل ويستنبط، وعلق المشابهة على أمرين : اطرّاح الدر على الأرض، وعدم النجاة لمخلوق على ظاهر الأرض، ولما لم يتحقق الأمران استنبط العقل أن المشابهة لم تتحقق، ويظل الممدوح نسيج وحده كرما وجودا.

أما الثاني فلم يتعب العقل، بل الشاعر هو الذي فرق بينهما تفريقا نظريا، فهذا يعطي ضاحكا، وذاك يعطي باكيا، فلم يستعمل أسلوب التشبيه التشكيكي الذي استعمله الأول.

أما الخصائص الأسلوبية فقد تفاوتت هي الأخرى، فعند الأول يبلغ الممدوح القمة في العطاء، وأنه ليس له في البرية من نظير، واستعان في ذلك بقلب التشبيه، فجعل الأصل- وهو البحار والغيث- فرعا، وجعل الممدوح – وهو الفرع – أصلا، ثم إنه لم يكتف بهذا القلب، وهو كاف في مقامات المدح، بل بالغ حين نفي المشابهة نفيا مبنيا على دليلين واقعيين.

أما الثاني فجاء تشبيهه على الأصل "من قاس جدوى راحتيك إذا همت بالغيث....، وقوله "إذا همت " تخدش في كرم الممدوح، فإن إذا وإن كانت تفيد القطع بوقوع الفعل "همت " إلا أن تعليق همياتها على الشرط قدح في الكرم.

وزاد الشاعر الأول على الثاني بذكر جموعه وقيوده وهي مهمة جدا في السياقات التي تكشف عن كرم الممدوح، فذكر أصل الكرم ومصدره وهو البحار، واختار صيغة الجمع تحقيقا لكثرتها، وأضافها إلى الأرض إرادة لشمولها، فكل البحار تعجز عن مشابهة الممدوح، وهذا فيه كشف عن تفرد الممدوح وتميزه في ميادين الكرم.

وآثر لفظ الجمع في "الطرق" دلالة على شمول العطاء وعمومه، فلم يستأثر به أحد دون الآخر.

وذكر القيود "في كرم" و "وجودا" و " منهملا "تركيز على جود الممدوح، وإشارة إلى تدفقه على العباد، وسيولته في

**البلاد،وعبارة "في الأرض" هي الأخرى تشير إلى شمول العطاء وعمومه.**

**كل هذه خصائص تعبيرية وبلاغية كشفت عن مقصود الشاعر، وأعلت شأن ممدوحه.**

**وبيتا الثاني لم يخلوا من الخصائص التعبيرية التي أسهمت في الكشف عن مراد الشاعر، لكنها لم تبلغ ما بلغته الأولى.**

**من هذه الخصائص لجوؤه إلى التثنية في " راحتيك " مثنى راحة وهي باطن الكف، وهذا موطن يجوز فيه إحلال المفرد محل المثنى، يقول الفراء :**

**" تقول العرب: رأيته بعيني وبعينيّ، والدار في يدي وفي يديّ وكل اثنين لا يكاد أحدهم ينفرد فهو على هذا المثال كاليدين والرجلين "١ " لكن التثنية أقوى من المفرد في التعبير عن العطاء بالراحتين، وإزالة توهم قد يتوهم لو عبّر بالمفرد من أن العطاء كان بكف واحدة.**

**ولفظة " همت "تكشف في الممدوح عن سيولة عطائه وقوة انصبابه، وهذا ما يؤكد عليه لفظ الغيث " إذا همت بالغيث " والمقابلة بين " ضاحكا " و"مستبشرا " وبين " باكيا "و" مستعبرا"تكشف عن الفرق بين العطاءين.**

---

١ – فقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي ٢/٢٥١ دار مكتبة الحياة– بيروت–لبنان

**وتلمح أن الأول أجود تعبيرا، وأصدق عاطفة، وأسلس تركيبا من الثاني الذي جاءت تعبيراته منطقية خشنة، وانظر قاس، القياس، أخطأ، درى**

**وتلمح أيضا أن الشاعر في تعبيره " ضاحكا مستبشرا " اتفق مع زهير في قوله، وقد سبق :**

**تَرَاه إذا ما جئتَه متهلِّلا ☆☆☆ كأنَّك تُعطيه الذي أنت سائلُه**

**إلا أنه أوجز بيت زهير في هاتين الكلمتين.**

**وعلى كل فإن الشاعرين أحسن صنعة، وأجود تعبيرا عن الكرم من قول النابغة"١" :**

**وإنك غيْثٌ يُنعشُ الناسَ سيبُه ☆☆☆ وسيفٌ أُعِيرَتُه المنيَّةُ قاطعُ**

**فليس في البيت صنعة تعلي من شان الكريم، ولكن التشبيه جاء على طبيعته دون تفنن " وإنك غيث "فقُرب التشبيه وضعُف، أما الشاعران السابقان فقد استعملا التشبيه المعكوس الذي جعل التشبيه بعيدا ودقيقا، وكلما كان التشبيه كذلك، وجدت النفس فيه لذتها، وقد ذكر علماء البلاغة أن التشبيه المعكوس من الوسائل التي تضفي على التشبيه جدة وقوة فتجعل القريب المبتذل بعيدًا غريبا "٢"**

---

[١] – ديوان النابغة الذبياني٧٨/حمدو طماس – دار المعرفة – بيروت – لبنان ط٢/ ١٤٢٦/٢٠٠٥م

[٢] – شروح التلخيص ٤٦٢/٣ دار الكتب العلمية – بيروت –لبنان.

وهناك تشبيهات أخرى تجري مع السابقة في ميدان واحد تعبيرا وفكرة وهي قولهم"١" :

**منْ قاسَ جدْواكَ بالغَمامِ فما ☆☆☆ أنْصفَ في الحكمِ بَيْنَ شكْلينِ**

**أنت إذا جُدتَ ضاحكٌ أبدا ☆☆☆ وهو إذا جاد دامعُ العَيْنِ**

يقول إن من يقيس عطاء الممدوح بعطاء الغمام –الذي هو رمز الكرم والعطاء– فقد جار في الحكم، وأخطأ في القياس ؛ لأن عطاء الممدوح ممزوج بالضحك والاستبشار، وعطاء الغمام عطاء مع استعبار، وفرق بين من يعطي وهو يضحك وبين من يعطي وهو يبكي، فعطاء الضاحك فيه أريحية واهتزاز، وعطاء الغمام إجبار وابتزاز، وشتان ما بينهما.

وفي خطاب الممدوح " أنت " يتناسب مع مقام المدح، فهو يضفي على الممدوح أريحية تجعل الكرم ديدنه وهجّيراه، أما عطاء الباكي فقد ينقطع عن عطاياه ؛ لأنه يعطي وهو دامع، وهي عبارة توحي بعدم رضاه عن العطاء " وكأنما هناك قوة تدفعه إلى العطاء على غير إرادة منه "٢ " وأما الممدوح فيعطي وهو ضاحك، وبين

---

[١] – البيتان في الإيضاح ١١٤/١ ونسبهما الشيخ عبد المتعال الصعيدي في البغية للوأواء الدمشقي، ونسبهما الثعالبي في كتابه "خاص الخاص" إلى المتنبي في سيف الدولة ١٥١ ت حسن الأمين –دار مكتبة الحياة – بيروت/لبنان.

[٢] – علم البديع د/ عبد العزيز عتيق ١٥٧.

**ضاحك ودامع طباق رائع جلّى صفحة الكرم عن الممدوح وأشاب عطاء الغمام.**

**وفي التقييد بالأبدية في جانب الممدوح ما يشير إلى دوام العطاء منه وعدم انقطاعه، وهذا ما يشير إليه أيضا التعبير باسم الفاعل " ضاحك " وإن كان الممدوح والغمام مشتركين في العطاء المتحقق المقطوع به، وذلك هو دلالة التعبير ب" إذا " في الجهتين إلا أن الشاعر بلباقته استطاع التفريق بينهما بطريقة جمعت بين الإمتاع والإقناع، ومن يشك في أن عطاء الغمام دمع وبكاء، وليس بكاء عارضا، وإنما بكاء دائم ناجم عن التعبير باسم الفاعل " دامع" ودمع العين سخونتها وعدم قرارها، وهذا يدل على عدم الرضا في العطاء، قالت العرب : بكاء السماء مطرها، وأسلوب التفريق أسلوب بديعي يضفي على الكلام حسنا وجمالا، وعلى المعنى سحرا حلالا، وقد عرفه الخطيب بأنه " إيقاع تباين بين أمرين من نوع واحد في المدح أو غيره "[١]"**

**وهذا ما صنعه الآخر حين قال"[٢]" :**

**ما نوالُ الغمَامِ وقتَ ربيعٍ ☆☆☆ كنَوالِ الأميرِ يومَ سَخاءِ**

---

[١] – الإيضاح مع البغية ٤/ ٣٧

[٢] –البيتان في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي ٣٠٠/٢ ت: محمد محيي الدين عبد الحميد – عالم الكتب – بيروت، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري التلمساني ٢٤١/٤ ت: إحسان عباس – دار صادر– بيروت – لبنان ص. ب ١٠

**فنوالُ الأميرِ بَدْرةُ عَيْنٍ ☆☆☆ ونوالُ الغمامِ قطْرةُ ماءِ**

**فقد استعمل الشاعر هنا أسلوب التفريق، إلا أن الشاعر هنا لم يقس عطاء الممدوح بعطاء الغمام كما فعل الشاعران السابقان، وإنما عكس الأمر مبالغة في عطاء الممدوح، ونفى هذا القياس إمعانا في ذلك فقال : " ما نوال الغمام.....كنوال الأمير....وهو تشبيه منفي وهو أوقع في عدم المساواة، وساق دليلا على ذلك بأن عطاء الأمير بدرة عين وهو كيس ممتلئ بالدراهم والدنانير قيل ألف، وقيل عشرة آلاف.**

**ونوال الغمام ما هو إلا قطرة ماء، وماذا تفعل قطرة ماء مع بدرة العين ؟ فتلمح أن تفريق الشاعر هنا منصب على القلة والكثرة، وتفريق الشاعر هناك متوجه إلى الحالة التي يكون عليها العطاء، وهي حالة نفسية مهمة في وجاهة العطاء، ففرق بين من يعطي ضاحكا مستبشرا، وبين من يعطي باكيا مستعبرا، فالشاعران وإن اختلفت جهة التفريق بينهما كما سبق، فإن تفريق صفي الدين الحلي في مدح النبي صلى الله عليه وسلم كان متعلقا بالديمومة وعدمها فقال "[١]":**

**فجُودُ كفَّيهِ لم تُقْلِعْ سحائبُهُ ☆☆☆ عنِ العِبادِ وجودُ السُّحْبِ لم يدُمِ**

---

[١] – البيت في ديوان صفي الدين الحلي برواية " وجود السحب لم يقم " ٦٩٣ – دار صادر – بيروت

**فديمومة العطاء من النبي صلى الله عليه وسلم أمر مقرر تلمسه استقامة الطباع، وتعكسه سلامة الأوضاع، ويكشف عنه الإيمان، فأي مسلم لا يشك في ديمومة العطاء النبوي واستمرار هديه ما بقي الناس، وترددت الأنفاس، أما جود السحب فمنقطع " لم يدم "ولك أن تتأمل عبارة "فجود كفيه "تجد إيثار التثنية دون الإفراد مع أن الكف تقوم مقام الكفين لغة إلا أن التثنية هنا آكد وأثبت للعطاء، وفيه إظهار لكثرة العطاء المتدفقة من الكفين، وفيه دفع لتوهم أن كفا واحدة فقط هي التي تعطي.**

**وفي التعبير بالجمع في " سحائب " تركيز على هذه الكثرة التي شملت العباد والبلاد، وفي التعبير بالعباد هنا تحفيز الهمم نحو التمسك بهديه صلى الله عليه وسلم.**

**فتجد "الحلّي" في تعبيره وتفريقه في العطاء كأنه صادر من قول ابن عباس رضي الله عنهما " كان رسول الله صلى الله علي وسلم أجود ما يكون في رمضان حين يأتيه جبريل فيدارسه القرآن، فلرسول الله صلى الله عليه سلم أجود بالخير من الريح المرسلة "[١] "إلا أن ابن عباس كان أوغل دلالة وأكثر عمقا في التعبير عن الكرم حين فضل كرم النبي على " الريح " والريح هي أصل وجود الغمام في السماء، فلولاها ما كان، أما الشعراء الثلاثة السابقون فكان ترجيحهم بين الممدوح والفرع في العطاء وهو الغمام، وفرق بين أن يقوم التفضيل في الأصل وبين أن يقوم في الفرع.**

---

[١] – الحديث في فتح الباري في باب فضائل القرآن برقم ٤٦١٣.

**وإذا تأملنا تعبير ابن عباس رضي الله عنهما وجدناه يحمل في طياته تشبيه الرسول صلى الله عليه وسلم بالريح جودا وكرما، لكن بلاغة ابن عباس أبت عليه أن يلحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالريح تشبيها صريحا، فلم يقل الرسول كالريح ولو فعل فلا حرج ؛ لأن التشبيه حينئذ يكون منظورا فيه إلى جانب الخير الذي تكون الريح نشرا وبشرا بين يديه وهو المطر، لكن ابن عباس بلغ الذروة في البلاغة حين صاغ هذا التشبيه في هذا الأسلوب التفضيلي " فهو أجود بالخير " والتنصيص على الخير يبعد أي شبهة قد تقلل من شأن هذا التشبيه، إذ الريح لا تكون خيرا مطلقا، بل تكون شرا وبيلا كالريح التي تسببت في مصارع المكذبين، فأحس ابن عباس ببلاغته الراقية ما عساه يقدح في المعنى المراد فاجتنبه، وهذا ما جعل الحافظ بن كثير يلهج بالثناء منوها ببلاغة هذا التشبيه فيقول :**

**"وهذا التشبيه في غاية ما يكون من البلاغة في تشبيه الكرم بالريح المرسلة في عمومها وتواترها وعدم انقطاعها "١"**

**وبهذا يرد على من استبعد أفعل التفضيل من إفادة معنى التشبيه "٢" والأولى عدم استبعادها، وترك إفادتها التشبيه من عدمه راجع للسياقات وتركيب الصياغات ومقتضيات الأحوال، ولا**

---

[١] – شمائل الرسول لابن كثير ٩٤/١ بدون.

[٢] –عروس الأفراح في شروح التلخيص ٣٩٢/٣.

**أظــن أن المتــذوق يخفــى عليــه التشــبيه فــي قــول المســيب بــن علس"[١]":**

**ولأنتَ أجودُ بالعطاءِ من الر  يَّانِ لمَّا جادَ بالقَطْرِ**

**فأفعــل التفضــيل كشــف عــن معنــى التشــبيه، وهــو ضــمني مفهــوم مــن الكــلام، فالممــدوح يشــبه الريــان، لكــن الشــاعر بــالغ فــي المعنى وجعل الممدوح أجود من الريان.**

*  *  *

[١]– البيت في عيار الشعر لابن طباطبا، الحسني العلوي، أبو الحسن ٣٥ ت عبد العزيز بن ناصر المانع مكتبة الخانجي – القاهرة.

# المبحـــــث الســـــادس

## سمـــــو الممـــــــدوح علـــــى الشمـــــس

**قال زهير في مدح هرم بن سنان "[١]":**

**لو كانَ يَقْعدُ فوقَ الشمسِ من كَرَمٍ قومٌ بآبائهم أو مجدِهم قعَدوا**

**محسَّدون على ما كانَ من نِعَمٍ لا يَنزِعِ اللهُ عنهم ما له حُسدوا**

**إنْسٌ إذا أمِنوا جن إذا فَزِعوا مُرزَّؤون بهاليلٌ إذا جُهِدوا**

**المتأمل في تعبيرات الشعراء عن الكرم يجد لهم أفانين متنوعة، وطرائق بارعة، يجد لهم تعبيرات في غاية القوة تصل بالممدوح إلى أوج السماء، وقمة السخاء، وتأمل قول زهير السابق تجد أنه سلك مسلكا عجيبا، وطريقا غريبا في التعبير عن كرم ممدوحيه، وهو طريق قلّ من يسلكه من الشعراء، وهو أن هؤلاء تسنّموا مراقي الكرم والشرف، وأنهم فوق الشمس عطاء وسؤددا.**

**ومعلوم أن الشمس – وهي استحضار ذكي في هذا السياق – هي مصدر العطاء للعباد والبلاد، فهي أصل حياتهم، ومصدر وجودهم، وأساس حركتهم، فحياتهم عليها موقوفة، ومصالحهم بها معقودة، فهي تبعث الدفء للناس... إلا أننا نرى الشاعر صعّد الكرم تصعيدا قويا، وبالغ مبالغة مقبولة صحّحها وجود " لو " وجعل هؤلاء الناس أسمى درجة،**

---

[١] – الديوان ٤٤.

**وأكثر عطاء، وأجود سخاء، وأبعث دفئا للناس، فلو كان أحد يقعد فوق الشمس " من كرم " لقعد هؤلاء ؛ لكرم محتدهم.**

**ذكر النقاد أن دخول لفظة " لو " هنا قربت المعنى من الصحة، فصار غلوا مقبولا"١" قال ابن رشيق :**

**" وأحسن الإغراق ما نطق فيه الشاعر أو المتكلم ب" كاد " أو ما شاكلها نحو " كأنّ " و"لو " و "لولا " وما أشبه ذلك...وما أعجب قول زهير، فبلغ ما أراد من الإفراط، وبنى كلامه على صحة "٢" وقد نال هذا البيت إعجاب سيدنا عمر، وكان – رضي الله عنه – ذواقة للشعر بصيرا، وفطنا به نحريرا، فقال معلقا عليه وعلى ما بعده:**

**" ما أحد أولى بهذا الشعر منكم يا بني هاشم، فقال ابن عباس : فينا ما هو أكبر منه، كتاب الله والنبوة "٣ "**

---

[١] – يراجع خزانة الأدب ١٢/٢للحموي، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني ٤٦/٢ ت محمد محيي الدين عبد الحميد – دار الجيل الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م.

[٢] – العمدة ١٣١/١.

[٣] – جمهرة الأمثال ١/ ٨٢ لأبي هلال العسكري ٢٧٤/١ –ت /أحمد عبد السلام، وأبو هاجر محمد سعيد زغلول – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ط١ ١٤٠٨ – ١٩٨٨م.

**وتلمح أن في تقديم المتعلقات " فوق الشمس " " من كرم " على الفاعل " قوم " تركيزا على رفعة شأنهم، وعلو سؤددهم، فهي مناط التعبير، ولب التركيب، وهي**

**مقصد الشاعر وفكرته التي قام عليها بيته، فكان تقديم هذه المتعلقات أهم، وذكر الشاعر القيد " من كرم " إسهام في الكشف عن مقصود الشاعر.**

**وذكر ابن وكيع أن المتنبي ألم بمعنى زهير فقال"[١]":**

**فلما جئتُه أعلى مَحلّي☆☆☆وأقعدني على السّبعِ الشّدادِ**

**لكنه رجّح بيت زهير على بيت المتنبي، يقول:" فزهير احترس وقال: لو جاز أن يقعد قوم بحسب أو مجد فوق الشمس لقعدوا، وأبو الطيب حقّق جلوسه على السبع الشداد، فليس هذا في قدرة الممدوح، فكان زهير أولى بالاقتصاد في المجال، ورجحان لفظه على لفظ من أخذ عنه أحقّ بما قال "[٢]"**

**وترى الآخر يقول مستعملا طريق الكناية عن نسبة وهو الشاعر أبو نواس يقول في الخصيب لما زاره بمصر"[٣]":**

**إذا لمْ تَزُرْ أرضَ الخصيبِ ركابُنَا ☆☆☆ فأيُّ فتًى بعدَ الخصيبِ نَزورُ**

---

[١] ديوان المتنبي ١/١٣٠.

[٢] – المنصف للسارق والمسروق منه لابن وكيع ١/٤٣٨ ت/عمر خليفة بن إدريس/ منشورات قار يونس ط١ ١٩٩٤.

[٣] –الديوان ٣٢٨.

**فتًى يَشترِي حُسنَ الثَّناءِ بمالِه☆☆☆ ويعلَمُ أنَّ الدَّائراتِ تَدورُ**

**فما فاتَهُ جُودٌ ولا حلَّ دونَهُ ☆☆☆ولكنْ يَصيرُ الجُودُ حيثُ يصيرُ**

**ذكر صاحب المستطرف أن الخصيب لما سمع هذه الأبيات أعطاه ألف دينار ووصيفا ووصيفة، وأحس أبو نواس بروعة تلك الأبيات فقال للخصيب بعد أن فرغ الشعراء من الإنشاد بحضرته :إني أنشدت قصيدة هي كعصا موسى تلقف ما صنعوا "١"**

**والمتأمل في الأبيات يجد أن أبا نواس وظف خصائص تعبيرية، وأساليب بلاغية في الكشف عن كرم الخصيب، منها :**

**أسلوب التقديم في البيت الأول، فقدم المفعول " أرض" على الفاعل "ركابنا" وقدم قيد الظرف " بعد الخصيب ""، والمفعول " أي فتى " على الفعل " نزور" وكانت هذه التقديمات كشفا عن مدى اهتمام الشاعر بالخصيب وأرضه، فهما مناطا الكلام، وقصدا الحديث، فكان التقديم أهم لفتا وجذبا للانتباه.**

**ولشدة ولوع الشاعر بإظهار صفة الفتوة التي من معانيها الكرم استخدم أسلوب حذف المسند إليه في البيت الثاني، والتقدير "هو فتى " لكن في الحذف تعجيل بالدخول على تلك الصفة المحمودة.**

**وفي التعبير بالمضارع " يشتري " دلالة على تجدد ذلك منه، وأنه لا يألو جهدا في شراء المعالي، ولا يفتر في طلبها، ولا يني في تحصيلها.**

---

[١] – المستطرف للأبشيهي ٤٩٨/١.

**وكان للاستفهام في قوله :" أي فتى بعد الكريم نزور " أثر كبير في الكشف عن كرم الممدوح، وقد تعتري هذا الاستفهام عدة معان كلها تسهم في إبراز الكرم، فيجوز أن يفيد النفي والاستبعاد والإنكار، والسياق يحتمل هذه المعاني.**

**ثم يذكر في البيت الثالث أن الجود موقوف على الممدوح لا يتعداه إلى شخص آخر، فحيثما سار الممدوح سار الجود، وهي كناية عن نسبة دلت على لزوم الكرم للممدوح لزوم الظل لصاحبه، فهو عليه معقود وموقوف.**

**ذكر صاحب الأغاني أن أبا نواس أخذ هذا المعنى من أبي الشيص في قوله:**

**وَقف الهَوى بي حيثُ أنتِ فليس لي ☆☆☆ متأخر عنه ولا مُتقدَّمُ**

**فسار بيت أبي نواس ووقف بيت أبي الشيص[١].**

*** * ***

[١] – الأغاني ٤/ ٤٧٩.

# المبحث السابع

## الممدوح أصل الجود

**قال أحدهم في مدح معن بن زائدة "[١]":**

**سَمَّيتُ معْنا بمَعْنٍ ثم قلتُ له ☆☆☆ هذا سميٌّ عقيدِ المجدِ والجودِ**

**سما بجودِك جودُ النَّاسِ كلِّهمُ ☆☆☆ فصار جودُك محرابَ الأجاويدِ**

**من نورِ وجهِك تُضْحِي الأرضُ مشرقةً ☆☆☆ ومِن بَنانِك يجْري الماءُ في العودِ**

**يقول الشاعر في معن أنه عقيد المجد والجود، وعقيد فعيل بمعنى مفعول، أي معقود، وفي الإشارة إليه " هذا سميّ " تعظيم لشأنه وإعلاء لمنزلته، وفي البيت الثاني يقرر أن "معنا" هو أصل الجود، فمنه استمد الأجواد جودهم، وبجوده سما جود الناس كلهم، لكن تعبيرات الشاعر أبرع، وفي كشف كرم معن أنصع.**

**فلفظ " سما " من السمو وهو العلو يدل على أن سموق شأن الممدوح في الكرم، إلا أن سما أدل على السمو والارتفاع من لفظة علا إذ فيها استحضار للسماء، وتحديد لجهتها.**

**وفي تقديم الجار والمجرور" بجودك " على الفاعل " جود " اهتمام بجود الممدوح، واعتناء به، فهو الفكرة الأساسية التي انبنت عليها الأبيات الثلاثة.**

---

[١] –الأبيات في الأمالي لأبي علي القالي ١/١٢١.

**وفي لفظة التوكيد " كلهم " وهي للشمول دلالة على أن جود الناس جميعا إنما هو مستمد من جود الممدوح.**

**ثم نرى الشاعر يعمق من جود الممدوح، فيجعل جوده محرابا للأجواد بل للأجاويد وهي جمع الجمع، دلالة على كثرة الأجواد وشمولهم، فهم جميعا يعتكفون في محراب الممدوح اعترافا منهم بأستاذيته في الكرم.**

**ومن ثم فقد مهد الشاعر بهذين البيتين؛ ليذكر في البيت الثالث أن الممدوح الذي سما بجوده جود الناس، واعتكف الأجاويد في محراب جوده إنما تشرق الأرض من نور وجهه، ومن فيض بنانه يجري الماء في العود، وتدب الحياة في الناس.**

**وفي تقديم الجار والمجرور على الفعل في الشطرين " من نور وجهك تضحي..." ومن بنانك يجري...تخصيص، فإشراق الأرض مقصور على وجهه المتهلل إشراقا، الضاحك استبشارا، وهذا فعل الكرماء، وذاك ما عبر عنه الشعراء"[١] "**

**ودبيب الحياة في العود وجريان الماء فيه مقصور على فيض بنانه، والاستعارة الرائعة التي جعلت وجهه كالشمس إشراقا، وعطاؤه كالماء تدفقا كان لها أثر قوي في المعنى، حيث جعلت وجه الممدوح أصل الإشراق، وجعلت عطاءه مصدر الحياة.**

---

[١] – قال زهير : تراه إذا ما جئته متهللا  كأنك تعطيه الذي أنت سائله.

والمتأمل في الأبيات الثلاثة هذه والبيتين السابقين في المبحث السابق يجد أن الشعراء حين عبروا عن الكرم، أصدروا أحكاما عامة دون اللجوء إلى تفصيلات، فلم يكشفوا عن بعض مظاهر الكرم، ولم يبرزوا نوع العطاء مثلما وجدنا عند كثير من الشعراء الذين تناولنا أبياتهم بالتحليل.

وسوق الأحكام عامة في مجال الإفصاح عن الكرم قد يكون أبعد عن الإقناع، فوجود الدلائل المحسوسة، والوقائع الملموسة، أكثر كشفا وأعظم إقناعا، وأقوى حجة، وأشد تقريرا لكرم الكريم، فقول أبي نواس السابق :

**جُدتَ بالأموالِ حتَّى ☆☆☆ قيل ما هذا صحيحُ**

وقول أبي تمام :

**ما زال يهْذي بالمواهبِ دائبا ☆☆☆ حتى ظننَّا أنَّه محمومُ**

وقوله :

**تكادُ عطاياه يُجنَّ جنونُها ☆☆☆ إذا لم يُعوذْها برقية طالب**

وقول البديوي :

**بشاشةُ وجهِ المرءِ خيرٌ من القِرَى ☆☆☆ فكيف بمن يأتي وهو ضاحكُ**

وقول زهير :

**تراهُ إذا ما جئتَه متهلِّلا ☆☆☆ كأنَّك تُعطيه الذي أنت نائلُه**

**ولو لم يكنْ في كفِّه غيرُ رُوحِه ☆☆☆ لجادَ بها فليتَّقِ اللهَ سائلُه**

**تعوَّدَ بسْط الكفِّ حتى لوِ أنَّه ☆☆☆ دعاها لقبضٍ لم تُجبْهُ أنامِلُه**

وقول الآخر :

**متيَّمٌ بالنَّدى حتى لو قال قائلُه ☆☆☆ هبْ لي كَرَى عينيك لم يَنمْ**

إلى آخر هذه الأبيات التي ساقت دلائل حسية، ووقائع فعلية تدل على جود الممدوح، فالنص على هذه الحسيات أكثر إقناعا، وأعظم تصديقا.

وأي شك يمكن أن يعتري الإنسان حين يسمع قول النابغة الجعدي :

**فتَى كمُلتْ أخلاقُه إلا أنَّه ☆☆☆ جَوَادٌ فما يُبْقِي من المالِ باقيا**

وقول الآخر "

**وفتكْتُ بالمالِ الجزيلِ وبالعِدا ☆☆☆ فتكَ الَّصبابةِ بالمحبِّ المُغْرَم**

وستأتي دراسة هذين البيتين إن شاء الله.

لكن الأبيات التي أشرت إليها سابقا لم تلجأ إلى التفصيلات، بل ساقت أحكاما كشفت عن أن ممدوحيهم بلغوا القمم في العطاء، ولعل في عدم ذكر وقائع حسية ملموسة ثقة من الشاعر بأن ممدوحه أشهر في العطاء، وأعظم في السخاء من أن يعرف بوقائع مادية محسوسة، فسجلاتهم حافلة بمواقف الكرم، فذكر شيء منها إجحاف بما لم يذكر.

فعلى هذا يكون التعميم أفضل، لكن ما تزال النفس البشرية في حاجة إلى أدلة ملموسة ؛ لتقتنع بعظم العطاء مثلما فعل من عرضت لأبياتهم سابقا، ومن ذلك قول بعضهم"[١] :

**أبيتُ خميصَ البطنِ عُريانَ طاويا وأوثرُ بالزَّاد الرفيقَ على نفسي**

**وأمنحُه فرشي وأفترشُ الثَّرى وأجعلُ سِترَ الليلِ من دونه نفسي**

وقول الآخر"[٢]":

**لِحَافِي لِحَاف الضَّيْف وَالْبَيْت بَيته ☆☆☆ وَلم يلهني عَنهُ غزال مقنع**

**أحدثه إِن الحَدِيث من الْقرى ☆☆☆ وَتعلم نَفسِي أنه سَوف يهجع**

فالشاعران يقدمان دلائل حسية على الكرم، إلا أن الشاعر الأول كان أكثر كرما، وأعظم عطاء ؛ لأنه استطاع أن يبذل ما لا يبذله الثاني، وهذا هو قيمة الإيثار الذي يجعل الإنسان يفضل غيره على نفسه، وهذا منهج رائد في الكرم، وطريق نادر.

أقول إن الشاعر هنا بذل في حال إملاقه، والبذل في الضيق من أجود أنواع البذل، فالشاعر يبيت خميص البطن، وهو تعبير كنائي عن الجوع، ويؤكد هذا المعنى بلفظة " طاويا " ويبيت

---

[١] – الأبيات في المستطرف ١/١٧٣.

[٢] – البيتان في ديوان مسكين الدارمي٦٩، ٧٠ / ت /كارين– صادر بيروت ٢٠٠٠،، والبيتان في الحماسة لأبي تمام، ونسبهما إلى عتبة بن بجير، وقيل مسكين الدارمي ٢/٣٤٧ / ت /د /عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان ١٤٠١/ ١٩٨١م.

**عريانا لأنه آثر رفيقه وغطّاه بثيابه ؛ لتكون سترا له من الليل، ومنحه فرشه وافترش هو الثرى.**

**وقد برع الشاعر في صوغ أفعاله بصيغة المضارعة، وانظر " أبيت " و" أوثر " " وأمنحه " " وأفترش " وأجعل " ومجيء الأفعال بهذه الصيغة يدل على التجدد ؛ كشفا لمعاني الكرم.**

**وكشف الشاعر الثاني عن بعض هذه المعاني وزاد شيئا فيها، وهو أنه آثر الضيف بلحافه إلا أن الأول أبلغ في العطاء ؛ لأنه بذل الفرش، وبذل الفرش أزكى من بذل اللحاف ؛ لأنه افتراش للثرى، وبذل اللحاف ليس كذلك، لكنه زاد انشغاله بضيفه، وترك زوجته التي تشبه الغزال حسنا، قال ابن الأثير :**

**"فالغزال المقنّع هذا استعارة للمرأة الحسناء "١"**

**ثم أخذ يجاذب الضيف أطراف الحديث تسلية وتأنيسا، وهو يعلم أن ضيفه أحوج للنوم، لكن الشاعر رأى أن محادثة الضيف نوع من القرى، وأكد هذه الفكرة ب"إنّ" نظرا للاستغراب الذي قد يعتريها، وعدم إلف الناس لها.**

* * *

[١] – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير ١/٣٦١ ت/محمد محيي الدين عبد الحميد/ المكتبة العصرية ١٤١١/ ١٩٩٠م.

# المبحث الثامن

## لا زكاة في مال الكريم

**ويتأنق الشعراء ؛ ليعطونا دلائل قوية على كرم ممدوحيهم، فهذا معن بن زائدة الكريم السخّاء لا زكاة في ماله ؛ لأنه يمر الحول وليس في بيته شيء سوى الذكر الجميل والصنيع الحسن يقول الشاعر[١] :**

**يقولون معْنٌ لا زكاة لمالِه ☆☆☆ وكيف يُزكِّي المالَ مَن هو باذلُه**

**إذا حالَ حولٌ لم تجِدْ في دِيارِه ☆☆☆ من المالِ إلا ذكرَه وجمائلَه**

**فالشاعر ينفي في تأنق وتألق وجوب الزكاة على معن بن زائدة، وساق هذا الحكم مشفوعا بدليل قاطع، وبرهان صحيح ساطع، وهو هذا الاستفهام الذي قد يحمل معنى النفي والتعجب، أي لا يزكي المال باذله، أو يتعجب من كيفية الزكاة من مال مبذول.**

**والتعبير باسم الفاعل " باذله " دلالة على ثبوت البذل له وعدم انفكاكه عنه، وهو أن الحول يمر عليه وليس في بيته ما يزكَّى، لكن الشاعر ساق هذه الفكرة بأقوى أساليب القصر وهو النفي والاستثناء ؛ زيادة في التقرير، وإمعانا في التأكيد " لم تجد**

---

[١] – الأبيات في المستطرف ٣٥٢/١.

فـي ديـاره إلا ذكـره وجمائلـه " أي لـم يبـق مـن المـال سـوى ذكـر النـاس له، والصنائع التي قدمها.

وفـي جمـع الجمائـل تكثيـر لهـا، وبقـاء الـذكر فـي الـديار، أزكـى من الدرهم والدينار، وهذا ما عناه حاتم في أبياته السالفة :

**أما ويّ إن المالَ غادٍ ورائحٌ ☆☆☆ ويبقى من المالِ الأحاديثُ والذِّكرُ**

إنـه اتفـاق الشـعراء الصـادقين الـذين يعبـرون تعبيـرات صـادقة صادرة من نفوس منفعلة بالكرم، محبة للبذل، شغوفة بالعطاء ،

وإذا كـان الشـاعر قـد نفـي عـن "معن"وجـوب الزكـاة فـي مالـه إلا أن هنـاك شـاعرا آخـر عبـر عـن الفكـرة نفسـها واسـتعمل أسـلوب الاستفهام كما استعمله الأول على اختلاف في الأداة يقول [١]:

**ملأتُ يدي من الدنيا مِرارا ☆☆☆ وما طمعَ العواذلُ في اقتصادي**

**ولا وجبتْ عليّ زكاةُ مالٍ ☆☆☆ وهل تجبُ الزكاةُ على الجوادِ**

وهـل فـي البيـت أفـادت النفـي، أي لا تجـب الزكـاة علـى الجـواد، فالشـاعران وإن كانـا متفقـين فـي الفكـرة وطريقـة صـوغها، إلا أن الأول علل عدم وجوبها بالبيت الثاني :

**إذا حالَ حولٌ لم تَجِدْ في ديارِه ☆☆☆ من المالِ إلا ذِكرَه وجمائلَه**

والثاني لم يعلل، فزاد الأول عليه.

---

[١] – هذان البيتان حسّنهما ابن عبد ربه في العقد الفريد١ /١٩٨ ت/ د/ عبد المجيد الترحيني / مكتبة المعارف ط١١٤٠٤ / ١٩٨٣.

**وتتوالى إبداعات الشعراء بتعبيراتهم الآسرة، وصياغتهم الساحرة التي تخلب وتجذب، فيقول الشاعر مادحا خالد بن يزيد مدحا بلغ القمة، عدل به عن طريق الشعراء اللاحب، وعاج في مهيع لم يسلكه أحد، وتفرد في التعبير عن الكرم تفردا عجيبا فقال"[١]" :**

**سألتُ النَّدى والجودَ حُرّان أنتما ☆☆☆ فقالا يقينا إنَّا لَعبيدُ**

**فقلتُ ومَنْ مولاكما ؟ فتطاولا ☆☆☆ إليّ وقالا خالدٌ ويزيدُ**

**ما أعظم تأنق هذا الشاعر ! وما أحسن صياغته ! وما أجمل تعبيره ! وما أندر فكرته ! إن فكرته نادرة طريفة دلت على تمكن الممدوح من الكرم، وهيمنته عليه، وأن الجود مسخر له.**

**وقد برع الشاعر في سوق هذه الفكرة على طريقة الحوار يقول : سألت الندى والجود، والأول أوسع دلالة من الثاني "٢"**

**"أحران أنتما " لكن الشاعر صاغ هذه العبارة بأسلوب خبري يحمل معنى الإنشاء، فقالا يقينا إننا لعبيد، بتقديم صفة المصدر " يقينا " على " إننا لعبيد "والتقدير " إننا لعبيد حقا " ويقينا صفة نابت مناب الموصوف المحذوف، إذا الأصل " قالا قولا يقينا، ففيه إيجاز بحذف الموصوف، والحذف هنا اقتضاه السياق دخولا سريعا**

---

[١] – البيتان في ثمرات الأوراق في المحاضرات لابن حجة الحموي ٢٤٦/٢ مكتبة الجمهورية العربية–مصر.

[٢] – الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ٥٣٦ / ت /حسام الدين المقدسي.

**إلى صيغة التأكيد والتحقيق " يقينا " وقدمها الشاعر ؛ تقريرا لفكرته، وتأكيدا لوجهته من أن الجود والندى عبدان للممدوح، لا شك في هذا ولا ارتياب.**

**ثم نرى الشاعر أكد هذا بتأكيدين آخرين " إنّ " واللام الداخلة على خبرها " لعبيد " إمعانا من الشاعر في التأكيد على صحة دعواه، وصدق ما ادَّعاه.**

**وبعد أن اعترفا بالعبودية للممدوح عجل بالسؤال " من مولاكما ؟فقالا في تطاول واستعلاء " فتطاولا " وما أحلاها من كلمة !وما أعجبها من لفظة !تجعل العبد يتطاول في عز وشموخ.**

**ولا غرو فمن كان عبدا لسيد الأسياد، وأجود الأجواد، ومجد الأمجاد خالد بن يزيد حقه أن يحوطه الفخار، لا الذل والصغار، فقالا سيدنا خالد ويزيد.**

**أقول إن الشاعر هنا كان في غاية الإبداع والإمتاع، حين جعل الندى عبدا والممدوح سيدا، ذكر صاحب البديع في نقد الشعر أن هذين البيتين مأخوذان من الشاعر الذي يقول [١]":**

**سألتُ النَّدى هل أنت حرٌ فقال لا ☆☆☆ ولكنَّني عبدٌ ليحيى بنِ خالدِ**

**فقلت شراءً قال لا بل وراثةً ☆☆☆ توارثني عن والدٍ بعد والدِ**

---

[١] – البديع في البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ ٣٣٥ ت/ عبدا علي مهنا/ دار الكتب العلمية / بيروت لبنان ط١ ١٤٠٧ /١٩٨٧م

والبيتان في العقد الفريد ٢٢٦/١.

**والمتأمل فيما قال الشاعران يجد أن البيت الأول من هذين البيتين جمع معنى البيتين للشاعر السابق، وأضاف هذا الشاعر في البيت الثاني شيئا جديدا لم يعرض له السابق، وهو أنه أثبت أن العبودية هذه ليست شراء جديدا، بل مجدا تليدا، وإرثا حميدا، والدا عن والد، وهذا المعنى اقتضاه سياق الكرم، إنها من أندر الفكر التي تدهش العقول من حسنها وطرافتها.**

**ومع ندرة وطرافة هاتين الفكرتين، إلا أن هناك أبياتا أحسن منها تألقا وتألقا، وأجمل منها إبداعا وإمتاعا، وأكثر منها كشفا لمعاني الكرم الذي وصل إلى منتهاه، وهي الأبيات التي أدار الشاعر فيها حوارا بينه وبين الندى والجود، وهذا الحوار كشف عن مدى الذل والانكسار اللذين اعتريا الندى والجود بعد موت يحيى بن محمد، فقد استبدلا ثوب ذل مؤبّد بثوب عز، وكشف عن أنهما كانا عبديه في كل مشهد، يطيعانه إذا أمر، ويخضعان له إذا أشار، وكشف عن ملازمة الندى والجود له، وعدم مفارقتهما إياه حياة ومماتا، وأظهر الولاء الصادق، والحب الرائق للممدوح، فبقيا بعد وفاته يوما لتلقي عزائه، ليتبعاه غدا في قبره فيقبرا معه، يقول"[١]":**

**سألتُ الندى والجودَ مالي أراكما ☆☆☆ تبدلتُما عزا بذلٍّ مؤبَّدِ**

**وما بالُ ركنِ المجدِ أمسى مهدّما ☆☆☆ فقالا أُصبْنا بابن يحيى محمدِ**

---

[١] – الأبيات في مفتاح العلوم للسكاكي ٤١٢/١ ت/نعيم زرزور دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

**فقلتُ فهلاّ متّما قبلَ موته ☆☆☆ وقد كنتما عبديهِ في كلِّ مشهدِ**

**فقالا أقمنا كي نُعزّى بفقده ☆☆☆ مسافةَ يومٍ ثم نتلوه في غدِ**

**إنه التفنن الباهر، والإبداع الخلاب، والمبالغة العجيبة التي أعلت من شأن الممدوح يحيى بن محمد، وأن الكرم ما فارقه قط، وكيف يفارقانه وهما عبداه يأتمران وينتهيان له ؟ وأن ركن المجد انهدم بعده، والتعبير بمؤبد تعبير سديد يكشف عن انتهاء الكرم بفقد الممدوح.**

**والتعبير بأصبنا تعبير بالغ في إظهار الكرم، فهو يدل على أن الندى والجود فجعا بموت الفقيد، الأمر الذي جعلهما لا يعيشان بعده إلا مسافة يوم يتلقيان فيه العزاء ثم يتلوانه غدا ويلزمانه في قبره.**

* * *

# المبحث التاسع

## الجود مأخوذ من يمين الممدوح

**قال الحسين بن مطير في مدح المهدي[١]:**

**لَو يعبد النّاس يَا مهديّ أفضلهم ☆☆☆ مَا كَانَ فِي النّاس إلاّ أنْت معبود**

**أضحت يَمِينك من جودٍ مصوّرةً ☆☆☆ لَا بل يَمِينك مِنْهَا صوّر الْجُود**

**ويبلغ الجود قمته، وينتهي إلى ذروة سنامه عند الحسين بن مطير في أبياته السابقة، وحتى يتأكد لك أن ابن مطير كان نسيج وحده تعبيرا عن المدح ومبالغة في السخاء أعد قراءة الشواهد السابقة التي سبق تحليلها لا تجد سوى أمر بالكرم وحث عليه، تجده إتلافا للأموال وفتكا لها، وبشاشة وتهللا للعفاة السائلين، وأن المال لا يألف صرر الكرماء، وأن كرمهم فاق كرم السحاب، وتجد أيضا أن الكريم عبد لضيفه، والبيت بيته واللحاف لحافه، وأن الكرماء يقعدون فوق الشمس كرما، وأن الجود معقود بهم لا يتجاوزهم إلى غيرهم، وإن تجاوز الكرم المألوف تجد بذلا لقرى العين، وبذلا لشطر الحياة، وجودا بالروح، وإن تأنق الشاعر وبالغ جعل الجود عبدا والممدوح سيدا، وهذا غاية الكرم.**

**أقول إن هذه هي معاني الكرم التي دارت حولها الشواهد السابقة، أما هنا عند الحسين بن مطير فتجد نسجا آخر، ومهيعا فريدا لم يسلكه الشعراء، وهو أنه بالغ وجعل ممدوحه المهديّ معبودا من دون الناس إن جاز أن يعبد الناس أفضلهم، ولم لا، فإن الجود نفسه الذي دار تحت سقفه الشعراء السابقون جعله ابن**

---

[١] – في الديوان ١٢٥ جمع د/ حسين عطوان.

**مطير مصوّرا من يمنى الممدوح، أي مبالغة أبلغ من هذا ؟ وأي تفنن يعادل هذا التفنن ؟**

**والمتأمل في صياغة الشاعر يجدها منسابة انسياب الماء، متتابعة تتابع الهواء في خفة وسلاسة، وهدوء ودماثة، لم يشب تعبيره تكلف.**

**واقرأ مدحه المهدي مرة أخرى لتدرك ذلك، وقد وظف ابن مطير بعضا من الخصائص البلاغية التي أسهمت في الارتقاء بفكرته.**

**وابن مطير شاعر ذكي يدرك طبيعة السياقات، وأحوال المقامات، يفطن إلى أنه صعّد المعنى، ودلف إلى دائرة العبادة، وهي مزلق خطير كثيرا ما زلقت فيه أقدام الشعراء كابن هانئ الأندلسي وغيره في مدحهم الملوك والأمراء، فخرجوا عن المعقول والمنقول، أما الشاعر هنا فاحترس احتراسا جميلا نفى عن معناه كل شائبة، ونحّى عنه كل عائبة، ومهّد بهذا الاحتراس للدخول إلى فكرته تمهيدا حصيفا، يقول : " لو يعبد الناس يا مهديّ أفضلهم...ما كان في الناس...وهذا يشفع لقوله " إلا أنت معبود " يعني لو جاز شرعا أن يعبد الناس أفضلهم لعبدوا المهديّ من باب قوله صلى الله عليه وسلم : " لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها "[١]، ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يؤمر،**

---

[١] – الحديث ذكره ابن عثيمين في شرحه رياض الصالحين للنووي تحت الحديث رقم ١٧٧٤ ص٢١٢٨.

ولم يجز شرعا أن يعبد الناس أفضلهم، ولكنه افتراض الشاعر الذكي.

ولما كانت هذه الفكرة غريبة في بابها – والشاعر يدرك ذلك – لجأ إلى أسلوب القصر، ولم يختر أسلوبا اعتباطيا، وإنما اختار أسلوبا يليق بهذه المقامات الغريبة المحفوفة بالشكوك والإنكار، الممزوجة بالعجاج واللجاج، وهو أسلوب النفي والاستثناء الذي يستأصل بقوته شأفة أي إنكار، ويثبت بسطوته،ما يزجيه الشاعر من فكرته.

وعبارة " في الناس " احتراس في احتراس يحفظ على الشاعر عقيدته ؛ لأنه بهذه العبارة جنّب نفسه لوثة الإشراك، وجعل الأمر قائما في الناس.

وعلل الشاعر في البيت الثاني ما ذهب إليه في البيت الأول أن يمينه صورت من الجود.

وقدم عبارة " من جود " على خبر أضحى " مصورة " إلحاحا على معنى الجود، ولفتا إليه، وتركيزا عليه.

وقدَّم لفظة " منها " على الفعل المبني للمفعول اهتماما بيمين الممدوح، فهي مصدر كل جود، ثم وظف الشاعر اللون البديعي المسمى بالرجوع والاستدراك ؛ ليثبت أن الجود هو الذي صوّر من يمين المهدي.

ويبلغ الجود أقصاه، ويصل إلى منتهاه حين يرثي ابن مطير معن بن زائدة، و هو كريم من كرماء العرب، فيفخّم معه

الفكرة وينتقل بالمبالغة إلى شيء غاب عن بال الشعراء السابقين، ولم يدر في خلدهم، ولم يهجس في خاطرهم، وهو أنه حكم على الجود بالموت، ودفنه في قبر هذا الجواد الكريم يقول"[١]" :

**فَيَا قَبْرَ مَعْنٍ أَنْتَ أَوَّلُ حُفْرَةٍ ☆☆☆ مِنَ الأَرْضِ خُطَّتْ لِلسَّمَاحَةِ مَضْجَعَا**

**وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارِيْتَ جُودَهُ ☆☆☆ وقَدْ كَانَ مِنْهُ البرّ وَالبَحْرُ مُتْرَعِ**

**بَلَى قَدْ وسعْتَ الجُوْدَ والجودُ مَيِّتٌ ☆☆☆ وَلَو كَانَ حيّاً ضَقْتَ حَتَّى تَصَدَّعَا**

**فَتىً عِشْتُ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْد مَوْتِه ☆☆☆ كَمَا كَانَ بِعْدَ السَّيْل مَجْرَاهُ مَرْتَعَا**

**وَلَمّا مَضَى مَعْنٌ مَضَى الجُودُ وَانْقَضَى ☆☆☆ وَأَصْبَحُ عِرْنينُ المَكارِمِ أَجْدعا**

**أبى ذكر معن أن تموت فعاله ☆☆☆ وإن كان قد لاقى حماما ومصرعا**

وتأمل الأبيات تجد الصدق الصادق يتلألأ في أبياته، ولست تجد تملقا كما تجده عند مدحه المهدي السابق، ولا غرو فإن مدح الأموات أصدق إحساسا، وأقوى عاطفة من مدح الأحياء، وقد اعترف المهدي نفسه بجمال وجلال ما قاله ابن مطير في معن، فاغتاظ غيظُه، وقال حين أنشد ابن مطير مدحته تلك كما يروي صاحب الأغاني " كذبت يا فاسق وهل تركت من شعرك موضعا لأحد بعد قولك في معن بن زائدة، وذكر الأبيات "٢"

---

[١] –في الديوان ١٢٥/١٢٦.

[٢] – الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ٤/٢٥٩.

وفيها ينادي ابن مطير على قبر معن ؛ ليخبره بأنه أول حفرة حوت المكارم واضطجعت المكارم فيها، يقصد معن بن زائدة.

وهذا النداء ليس على حقيقته ؛ لأنه نادى ما لا ينادى، فالنداء يكشف عن الزفرات الأليمة، والتحسرات الحارقة، والحرقة التي أكلت فؤاد الشاعر حزنا ولوعة وتوجعا على فراق معن.

وتأمل تقديم لفظ " للمكارم " على المفعول الثاني " مضطجعا " تجده يكشف عن الاهتمام البالغ بالمكارم، فهي الفكرة الأساسية التي نظمت الأبيات من أجلها، فكان تقديمها أولى ؛ لفتا لها.

ويتكرر النداء المتوجع ممزوجا بالاستفهام التعجبي من أن القبر كيف وارى الجود الذي كان البر والبحر مترعين به ' وتقديم " منه " على اسم كان وخبرها تقديم تخصيص، أي أن الكرم الذي ملأ البر والبحر كان مخصوصا بمعن بن زائدة.

ثم يُضرب الشاعر بلفظ " بلى " ويخاطب القبر خطاب أسى وتفجع، أنت وسعت الجود ميتا، ولو كان حيا ما استطعت، بل تتصدع ؛لأنك أضيق من أن تحوي الكرم حيا بين جنباتك.

ومع هذا التصعيد البالغ في معاني الكرم نجد الشاعر وقد اعترته كبوة، فهوّن ما فخّمه، وصغّر ما ضخّمه، في قوله :

**وَلَمّا مَضَى مَعْنٌ مَضَى الجُودُ وَانْقَضَى ☆☆☆ وَأَصْبَحَ عِرْنِينُ المَكارِمِ أَجْدَعا**

فقد اعترف من قبل بأن المكارم دفنت في حفرة من الأرض، فكيف ينقض ما فتل، ويحل ما جدل، ويقر بأن المكارم ما

**زالت حية إلا أنها مجدوعة الأنف على طريقة الاستعارة المكنية، فكيف نوفِّق بين تقريراته ؟ إنها غفوات البشر.**

**ثم نراه يبدع في البيت الخامس ويحذف المسند إليه مباشرة " فتى " تعجيلا بذكر محامده، ويبرع في صياغة الفعل " عيش " للمجهول ؛ تعميما للمعنى، وإشارة إلى أن معروف "معن " شمل كل من عاش بعده، فقد وسع الناس كرما حيّا، وشملهم ميتا، وقرر هذه الفكرة بالأسلوب التشبيهي " كما كان بعد السيل مجراه مرتعا " فبعد ذهاب السيل يترك الخصب والإمراع آثارا باقية كآثار معن التي أبت أن تموت، فهو وإن صار من الغابرين، إلا أن ذكره بقي في الأولين والآخرين.**

**أقول إن هذا إبداع وأي إبداع، مما جعل ابن رشيق، وهو بالذوق حقيق، يقول عن هذه الأبيات " إنها من أفضل الرثاء "[١] "**

**وصدق ابن رشيق في حكمه، فأي تصوير يكشف عن كرم الممدوح الممتد من قول ابن مطير :**

**فَتىً عِشْتُ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ☆☆☆ كَمَا كَانَ بِعْدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعَا**

**وهناك تصويرات قامت على هذه الفكرة، منها قول الشاعر[٢] :**

---

[١] – العمدة ٨٣٢/٢ برواية " كنت أول بقعة...وذكر أن هذه الأبيات تروى لابن أبي حفصة

[٢] – وقبله : فتى كغرار السيف لاقى منية وأيدي المنايا جمّة الحدثان

=

**فماتَ وأبقى من ترابِ عطائه ☆☆☆ كما أبقتِ الأنواءُ للحيوانِ**

**لكن أين يقع هذا التصوير من قول ابن مطير، فالتصويران وإن كانا يكشفان عن امتداد الكرم بعد الممات، لكن ذكر الحيوان هنا قلّل من الصورة، ومعلوم أن الأنواء تبقي للحيوان الحشيش والأعشاب وما شاكل ذلك، فليس هذا مدحا.**

**أما قول ابن مطير " كما كان بعد السيل مجراه مرتعا " فتعبير راق مهذب، ثم إن في لفظ السيل ما يكشف عن سيولة كرم الممدوح الذي فاض في حياته وبعد مماته، فترك آثارا باقية، ونعما نامية، ثم إن عبارة " تراب عطائه " هوّنت تهوينا شديدا من عطايا الممدوح، فعطاياه تراب، فكان هذا التعبير الخشن أقرب إلى القدح منه إلى المدح، وكان في وسع الشاعر أن يقول:**

**فمات وأبقى من نُضار عطائه ☆☆☆ .....**

**فيجعل الترب تبرا.**

---

والبيتان في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى٢/٥٤٦

شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ، والبديع في نقد الشعرلابن منقذ١/٢٣٦

# المبحـــــث العاشـــــــر

## السخـــــــاء علـــــى الأعـــــــداء

**ومـا زالـت تنثـال إبـداعات الشـعراء تتـرى، تحكـي الروايـات"[١]" أن الكريم معن بـن زائـدة كـان يتصـيد فعطـش، فلـم يجـد مـع غلمانـه مـاء، فـرأى جـاريتين، تحمـل كـل واحـدة قربـة مـاء، فشـرب منهـا، فـأراد أن يكافئهمـا، فلـم يجـد شـيئا، فـأعطى كـل واحـدة عشـرة أسـهم مـن سهامه، وكان نصالها من ذهب، فقالت الأولى :**

**يركِّب في السهامِ نصالَ تِبْرٍ ☆☆☆ ويرميها العِدا كرما وجودا**

**فللمرضى علاجٌ من جراحٍ ☆☆☆ وأكفانٌ لمن سكنَ اللحودا**

وقالت الأخرى :

**ومحاربٍ من فرْطِ جود بنانهِ ☆☆☆ عمّت مكارمُه الأقاربَ والعِدا**

**صيغتْ نصالُ سهامِه من عسْجدٍ ☆☆☆ كي لا يعوّقه القتالُ عن النَّدى**

---

[١] – الكشكول لمحمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمذاني٢/٢٢٤ت/ محمد عبد الكريم النمري: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ –١٩٩٨م ومجاني الأدب في حدائق العرب لرزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو ١٧١/٤ – مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت١٩١٣م.

الفكرة التي سقتها الجاريتان وانبنت عليها الأبيات الأربعة هي أن الممدوح – معن بن زائدة – شجاع باسل، وكريم باذل، وأنه اتصف بالصفتين مجموعتين، ففي الوقت الذي يقاتل فيه الأعداء يجود عليهم بنصاله الذهبية التي يبيعونها ؛ تلمسا لعلاج جرحاهم، وشراء لأكفان موتاهم.

وصياغة الممدوح سهامه بالنصال العسجدية ليست ترفا أو حلية، وإنما فعلها ؛ ليسخو على الأعداء حين يرميهم بها، فلا يعاق بالقتال، عن الجود والنوال.

ومع الاتفاق في الفكرة فهناك تفاوت في الصياغة والتركيب ترتب عليها تنوع في المعاني، وعندي أن الجاريتين وإن كانتا بلغتا مرتبة الجودة والإحسان دقة وصنعة إلا أنهما تفاوتتا في ذلك.

فالثانية كانت أكثر كشفا من الأولى عن صفتي الشجاعة والكرم، ولك أن تقارن بين عبارتيهما، فعبارة الأولى :

**يركبُ في السهام نصالَ تبرٍ ☆☆☆ ويرميها العدا كرما وجودا**

وعند الثانية:

**ومحاربٍ من فرط جودِ بنانه ☆☆☆ عمّت مكارمُهُ الأقارب والعدا**

فعبارات الأولى التي تكشف عن الشجاعة"يركب... يرميها العدا...وصيغت بالمضارعة تجددا لشجاعته التي تظهر بتجدد الحروب.

**أما عبارة الثانية " ومحارب " فكانت أكثر كشفا عن صفة الفروسية، وصيغت باسم الفاعل ثبوتا لتلك الصفة ولزومها لصاحبها، .**

**وكانت الثانية بارعة حين عجلت بالدخول على صفة "محارب " تركيزا على شجاعته وبسالته، ومقامات المدح هذه تقتضي الدخول سريعا إلى ما يمدح به الشخص.**

**أما الجارية الأولى فأشارت إلى ذلك بعبارة " يرميها العدا " لكنها لا تدل على تمرس الممدوح ومجالدته أهوال الوغى كدلالة لفظة محارب.**

**وفي التعبير عن الكرم تجد الأشطر الثمانية للأبيات تشير إليه، وتكشف عنه مع تفاوت في الصياغة :**

**فعند الجارية الأولى : يركب في السهام نصالا من ذهب ؛ ليرمي بها الأعداء جودا وكرما، فمن رُمي منهم ولم يصبه الموت، كان له متسع في بيع النصال الذهبية ليتداوى، ومن مات اشتُرِي له أكفان.**

**أما تعبير الثانية فكان أظهر وأحسن، فالتعبير ب " فرط جود بنانه " يكشف العطاء العريض، والسيولة المتدفقة من بنان الممدوح، فليس جودا عاديا كالجود الذي عبرت عنه الجارية الأولى، وإنما بلغ حدا مفرطا، وكلمة " فرط " تدل على ذلك، وكلمة " بنانه " أكثر تركيزا، وأدق تحديدا لجهة العطاء، فهي من بنان الممدوح لا من بنان غيره.**

ولفظة " عمّت " وهي من العموم دلت على شمول العطاء، وأنه كان من السعة بحيث لم يفلت منه أحد.

وكلمة "مكارم" تدل بجمعها على الكثرة التي شملت الأقارب والعدا، وهذا الطباق الواضح بين الأقارب والعدا كشف عن كثرة العطاء.

ألم أقل لك إن تعبير الجارية الثانية كان أدق وأوسع كشفا، ناهيك عن خصوبة خيالها حين لجأت إلى حسن التعليل الظريف لصياغة نصاله من الذهب، وهو أنه فعل هذا كي لا يعوقه القتال عن الندى، فيقتل شجاعة، ويعطي كرما، فالعلة الحقيقية لهذا الأمر قد تكون التماسا لقوة السهام وحدتها، أو طليا ترفيها، لكن الجارية تجاهلت تلك العلة الحقيقية تلك والتمست علة أخرى تكشف بها عن ندى الممدوح، لتقنعنا بأن الممدوح وإن كان في أحلك الظروف، ومعامع الحتوف، لا ينشغل عن المعروف.

ألا تلمح انسيابية وخفة في تعبيرها " صيغت نصال سهامه من عسجد " فهو أحسن وقعا، وأوضح شاعرية من قول الأولى " يركب في السهام نصال تبر "

ثم إن صورة الندى عند الأولى صورة قاتمة يغلب عليها طابع التكدير، فعندها علاج وجراح، وأكفان ولحود، وهي عبارات تنقبض منها النفوس، وتضيق لها الصدور، أما الثانية فصورتها نقية فقد استطاعت أن تخلّي أبياتها من هذه الألفاظ التي تذهب بهاء العطاء، ونداوة السخاء.

**وما زالت تأنقات الشعراء تتوالى في التعبير عن الكرم، قال النابغة الجعدي"١" :**

**فتى كملتْ أخلاقُه غيرَ انَّه ☆☆☆ جوادُ فما يُبقي من المالِ باقيا**

**وقال أبو تمام"٢" :**

**وفتكتُ بالمالِ الجزيلِ وبالعِدا ☆☆☆ فتكَ الصَّبابة بالمحبِّ المُغرَمِ**

**اتفق بيت النابغة مع بيت الآخر في إظهار معنى الكرم، لكن اختلف وتفاوت التصوير لدى كل منهما، فقد وظّف النابغة في الكشف عن جود الفتى وسخائه أسلوبا بديعا معروفا عند البلاغيين بتأكيد المدح بما يشبه الذم، وسمّى الثعالبي هذا اللون البديعي ب" إخراج الشيء المحمود بلفظ يوهم ضد ذلك "٣" وأدرج تحته بيت النابغة.**

**فالشاعر عدّد بعض صفات الممدوح، وذكر أنه " فتى " كملت فيه أخلاقه، ثم أتى بأداة الاستثناء " غير أنه " ليوهمنا أنه سيستثني من صفات المدح صفة ذم، لكنه فاجأنا بأن أثبت صفة مدح أخرى " جواد " وهذا تأكيد على تأكيد.**

---

١ – في الديوان ١٨٨ ت/ د. واضح عبد الصمد – دار صادر بيروت ط١ /١٩٨٩.

٢– هذا البيت ليس موجودا في طبعة بيروت.

٣ – فقه اللغة ٢/ ٧٦٧.

**وإمعانا من الشاعر في الكشف السريع عن أخلاق الممدوح لجأ إلى حذف المسند إليه من صدر البيت، والتقدير هو فتى " وفي الحذف تعجيل بذكر محاسنه، ذكر الثعالبي أن بيت النابغة هذا يعتبر من غرر شعره "١ " واستحسن أبو هلال وابن المعتز هذا البيت"٢" كما حمده أيضا ابن رشيق وعقب عليه بقوله :"فاستثنى جوده الذي يستأصل ماله بعد أن وصفه بالكمال، وبهذا الاستثناء زاد كمالا، وتأكد حسنه "٣ "**

**ومع قوة هذا اللون البديعي في إظهار كرم الممدوح إلا أن الكرم عند النابغة أضعف من الكرم في البيت الثاني، فقد انتقى الشاعر من التعبيرات، واختار من التصويرات، ما يكشف عن سخاء نفسه، وكرم شخصه، فقال : " وفتكت بالمال الجزيل...والفتك في اللغة تعتريه معان تعلي من كرم الشاعر، فمن معانيها : ركوب ما تدعو**

---

[١] – لباب الآداب لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري١٣٦/١: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م/ ت: أحمد حسن لبج.

[٢] – الصناعتين لأبي هلال العسكري٤٠٨/١ ت/ علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم : المكتبة العنصرية – بيروت

١٤١٩. والبديع في البديع لعبد الله بن المعتز ١٥٧/١ : دار الجيل /الطبعة الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

[٣] – العمدة ٢/ ٦٤٩.

**إليه النفس من غير مبالاة، وفيه أيضا الهلاك، يقال : " فتك به " أي أهلكه.**

**فلفظ الفتك يدل على أن الشاعر لم يبال بماله، وهو جزيل كثير، فلم تتعلق به نفسه، بل أنفقه كله إنفاق من ليس عنده مسكة طمع، أو لوثة جشع، بل بدّده وأهلكه، وهذا أقوى في الإقناع من تعبير النابغة " جواد فما يبقي من المال باقيا " فهذا التعبير الطويل عبرت عنه لفظة " وفتكت " فاتسم البيت الثاني بالإيجاز، ومع إيجازه زاد على النابغة بمعنى آخر، وهو التأكيد على الشجاعة والفروسية التي جعلت الشاعر لا يبالي بأعدائه، بل فتك بهم، واستأصل شأفتهم، والمال المفتوك به هنا مال جزيل.**

**أما عند النابغة فمجرد مال، وفرق بين التعبيرين، ثم إن الشاعر الثاني وظّف أسلوب التشبيه في إظهار مقدار الفتك، يقول إنه فتك بالمال والعدا كفتك الصبابة بالمحب المغرم، ولا يخفى ما تفعله الصبابة في نفس الوامق، والولهان العاشق، الذي تذيب نار الحب فؤاده، وتثير أرقه وسهاده، فيأخذه القلق، ويصيبه الأرق، فيموت كمدا على من يهواه.**

**وقد برع الشاعر في اختيار لفظ الصبابة ولم يذكر حبا مجردا، لأن الصبابة شوق من نوع خاص، فهو حب رقيق، وعشق في القلب كالحريق، فيشتعل في الفؤاد، ويحرق الأكباد، ومن ابتلي بمثل هذا**

صار عرضة للنفاد، ولم يجمح ابن الرومي حين عبر عن هذا في قوله "[١]":

**رأيتُ الحبَّ نيرانا تلظّى ☆☆☆ قلوبُ العاشقين لها وقودُ**

**فلو كانتْ إذا احترقتْ تعافتْ ☆☆☆ ولكن كلما احترقتْ تعودُ**

**كأهلِ النار إن نَضجت جلودٌ ☆☆☆ يُبدَّلُ للشقاء لهم جلودُ**

ولما اختار الشاعر من الحب أرقّه وأوهجه وهي الصبابة، اختار أيضا من المحبين المحب المغرم، لأن مثل هذا النوع من المحبين هو الذي يتأثر بنار حبه، ويكتوي بلهيب عشقه، فتكون آثار الفتك عليه بادية.

والكرم في البيتين السابقين أعلى من الكرم في قول القائل"[٢]" :

**ملِك يفيضُ على العُفاة سجالُه ☆☆☆ وعلى العُداة بسطْوه سجّيلا**

**وإذا حباك بغرَّة من مالِه ☆☆☆ ثنّى وأعقب غرّةً تحجيلا**

لأن الشاعر السابق فتك بالمال الجزيل كله، وممدوح النابغة الجعدي أفنى ماله كله، فلم يُبق منه باقيا، أما الشاعر هنا فعطاؤه

---

[١] – الأبيات في الاقتباس من القرآن والسنة للثعالبي ١٧٢/٢سلسلة الذخائر الهيئة العامة لقصور الثقافة.

[٢] – البيتان في المنتحل لأبي منصور الثعالبي ٥٣/١ ت: الشيخ أحمد أبو علي: المطبعة التجارية – الإسكندرية الطبعة: ١٣١٩ هـ – ١٩٠١ م.

**مقصور على الحسن من ماله، وهذا ما تشير إليه كلمة " غرّة " في البيت الثاني، وأردفها بذكر التحجيل.**

**وعلى كل فالشاعر اتخذ في البيت الأول حذف المسند إليه وسيلة للدخول السريع إلى صفات الممدوح، والتقدير " هو ملك ".**

**ومن مظاهر كرمه أن فيضه متتابع، وسخاءه مستمر لا ينقطع، دلّ على التتابع والاستمرار وعدم الانقطاع أمران : التعبير بالمضارع يفيض"، وكلمة " سجاله " جمع كلمة سَجل، وهي الدلو العظيمة[١]، ومن شأن السجل إذا صبّ بها الماء انحدر في تتابع وتسلسل، ومنه المساجلة، وهي المباراة والتفاخر، وفيها معنى التتابع، فكل فريق يتابع الآخر بحجته، وفي التعبير بالجمع دلالة على كثرة السجول، وهذا ما يكشف عن كرم الممدوح.**

**وفي تقديم الجار والمجرور" على العفاة " على الفاعل " سجاله " اهتمام بالمقدم ولفت إليه، فهو المقصود بالفيض.**

**كذلك كان سطو الممدوح على الأعادي متتابعا، وغاراته مستمرة تنزل على العداة سجّيلا، وهو في الأصل الطين المتحجر"[٢] "، وقيل حجارة من جهنم "[٣]، ومنه قوله " ترميهم بحجارة من سجيل "،**

---

[١] – لسان العرب مادة سجل.

[٢] – العين للخليل بن أحمد مادة سجل.

[٣] –تفسير الرازي ٢٩٢/٣٢ دار إحياء التراث العربي –بيروت.

**وفي سجيل معنى التتابع، وهذا يكشف عن الهلاك المحقق للأعادي.**

**أقول إن الكرم في البيت تخفق راياته من خلال كلماته المختارة، وأساليبه المنتقاة، التي منها أسلوب التورية في كلمة " غرّة " وهي تعني الحسن من ماله وهذا هو المعنى البعيد المراد، والمعنى القريب وهو البياض في جبهة الفرس غير مراد، ورشح الشاعر بعده بكلمة " تحجيلا " التي تعني البياض في ركبة الفرس.**

* * *

# المبحث الحادي عشر

## عدم إلف الدراهم للصرّة.

**قال جؤية بن النضر أو النضر بن جؤية[١]:**

**إنَّا إذَا اجْتَمَعَتْ يَوْما دَرَاهِمُنا ☆☆☆ ظَلَّتْ إِلَى طُرُق المَعْرُوفِ تَستَبِقُ**

**لَا يأْلَفُ الدرْهَمُ المَضْرُوبُ صُرّتَنا ☆☆☆ لكنِ يمُرُّ عَليها وَهْوَ مُنْطَلِقُ**

**فما أحسنه من تعبير، وما أجمله من تصوير يصور أن الدراهم إذا اجتمعت عند هؤلاء الكرماء تنافست في حلبة السباق، كل درهم يريد أن يسبق في ميدان المعروف والعطاء، فهذه استعارة مكنية جعلت الدرهم الصامت متحركا، وعاقلا يتنافس في السباق؛ ليصل إلى غاية مرجوة، إلى أيدي العفاة، فتقرعينه، وتأنس نفسه بهذا الظفر الكريم.**

**وإذا كانت الدراهم الجامدة يقع منها ذلك، فما بالك بأصحابها الكرماء.**

**وتأمل العبارت تجد دقة في التعبير متناهية فلفظة " ظلت " تكشف عن دوام العطاء واستمراريته وعدم انقطاعه، مثلما يكشف عنه التعبير بالمضارع " تستبق " يمر " ثم إن لفظة "الطرق " لفظة مجموعة تدل على كثرة الطرق التي تسير فيها الدراهم، كشفا عن كرم هؤلاء الذين يتحسسون الناس، وهذه الطرق ليست مطلقة، بل**

---

[١] – معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ٢٠٧/١.

هي طرق خير، وسبل معروف، وللعناية بها والتركيز عليها قدم القيد " طرق المعروف " على الفعل " تستبق " والإضافة في طرق المعروف تكشف عن رشد هؤلاء، وحكمتهم وسداد رأيهم في العطاء، فليس عطاء طائشا فيه خفة ورعونة، كالتي نحسها في قول أبي نواس:

**جُدتَ بالأموالِ حتى ☆☆☆ قيل ما هذا صحيحُ**

وقول أبي تمام:

**ما زال يهْذِي بالمواهبِ دائبا ☆☆☆ حتى ظننا أنَّه محمومُ**

والتعبير " لا يألف الدرهم المضروب صرتنا " تعبير كنائي رائع يكشف عن سعة البذل، وكثرة العطاء التي لا تبقي للمعطي شيئا، لدرجة أن الدرهم لا يعرف صرّته ولا يألفها ؛ لأنه لم يدخلها ولم يسكن فيها.

ولنا أن نقول إن هناك جفوة جافية بين الدرهم والصرّة، لأن عدم الإلف للشيء قد يستلزم الجفوة، وهذا يكشف عن مدى الكرم الذي جعل الكريم عاطلا من الغنى، خاليا من الدراهم، كما قال أبو تمام"١" :

**لا تُنكري عُطل الكريمِ من الغنى ☆☆☆ فالسيلُ حربٌ للمكانِ العالي**

بهذا التشبيه الضمني الذي برّر خلوّ الكريم من المال.

---

١ –الديوان ١٣٣.

**وهذه الدراهم تمر على الصرّة مرا سريعا دون أن تدخلها، والبراعة هنا هو صوغ المسند"منطلق" باسم الفاعل دون الفعل " ينطلق " وهذا فيه دلالة على ثبوت الانطلاق ودوامه ولزومه للدراهم.**

**ويبلغ الجود أقصاه، والكرم منتهاه، حين يكون البذل بالروح، وليس هناك أنفس من أن يبذل الإنسان حياته، قال مسلم بن الوليد "[١]":**

**يجود بِالنَّفسِ إِذْ ضن الْجواد بهَا ☆☆☆ والجود بِالنَّفسِ أَقْصَى غَايَة الْجُود**

**وقال المفضل بن المهلب ابن أبي صفرة"[٢]" :**

**هَلِ الجودُ إلا أنْ تَجودَ بِأَنْفُسٍ ☆☆☆ على كُلِّ ماضي الثَّفْرتَيْنِ صقيلِ**

**وتأمل تعبير الشاعرين " يجود بالنفس " تجود بأنفس"استعمل كل منهما الفعل المضارع ؛ دلالة على تجدد واستمرار جودهما، وأنهما لو طلب منهما بذل الروح ما ضنّا بذلك، لكن النفس عند الأول مفرد معرفة، وعند الثاني مجموعة نكرة، والتعبير بالمفرد أنسب للواقع، فليس للإنسان إلا نفس واحدة،**

---

[١] – البيت لمسلم بن الوليد وهناك رواية "إذا ضنّ الجواد بها " وهي أبلغ، والبيت في معاهد التنصيص ٣٢٥/١، والعقد الفريد ٩٩/١.

[٢] – البيت في الكامل في اللغة والأدب للمبرد٢٤٦/١ ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم / دار الفكر العربي القاهرة الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

والـلام فيهـا للعهـد، فهـي الـنفس المعهـودة التـي تكـون بهـا الحيـاة، أمـا الثـاني فقـد خـرج عـن الواقـع حـين عبـر بـالجمع مبالغـة فـي البـذل والعطـاء، فلـو كـان للممـدوح أنفـس متعـددة وسـئلها كلهـا مـا ضـنّ بواحـدة منهـا، والتعبيـر بـالجمع وإن كـان خروجـا عـن المـألوف إلا أنـه مناسب لمقامات الكرم.

وقـرر الشـاعر الأول أن الجـود بـالنفس هـو أعلـى مقامـات الجـود والإحسـان، لكـن الثـاني فضـل الأول وزاد عليـه بالكشـف عـن الشـجاعة الفائقـة التـي تـدفع الإنسـان إلـى أن يبـذل مهجـه، ويجعلهـا تسـيل علـى حـد الظبـاء شـجاعة وبسـالة، ونفـى الشـاعر أن يكـون الجـود بغيـر ذلـك، وصـاغ هـذا المعنـى بـأقوى أسـلوب مـن أسـاليب القصـر، وهـو أسـلوب النفـي والاسـتثناء " هـل الجـود إلا أن تجـود بـأنفس " والاسـتفهام ب "هـل " فـي معنـى النفـي، أي لـيس الجـود، والتعبيـر بالاسـتفهام أبلـغ لأنـه يجعـل الإنسـان المسـؤول يفكـر فـي مضـمون السـؤال، وهـذا تهيئـة لـه ليصـل بنفسـه إلـى مقصـود الشـاعر، وهو نفي أن يكون الجو بغير ما ذكر.

وهنـاك روايـة أخـرى فـي البيـت الأول :" يجـود بـالنفس إذا ضـنّ الجـواد بهـا " وهـي أبلـغ فـي إظهـار كـرم الممـدوح، فهـو يجـود بشـيء لا يسـتطيع الأجـواد بذلـه لنفاسـته، لكـن النفـيس عنـد الممـدوح رخيص، فهو يبذله غير مبال.

**ومن شدة إعجاب ابن وكيع بهذا البيت وضعه في كفة مع قول زهير، أوبكر بن النطاح"١" :**

**وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ ☆☆☆ لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ اللهَ سَائِلُهْ**

**وفضّل هذين البيتين على قول المتنبي"٢ ":**

**مِلْتُ إلى من يكَادُ بينكُمَا ☆☆☆ إن كُنتُمَا السَّائلَين يَنقَسِمُ**

**فعلّق على قول المتنبي بقوله : " هذا كلام قليل الإفادة، ناقص عن الإرادة، ابتدأ بيته ولم يجر لصاحبيه ذكر قبل ذلك، وذكر أنه ينقسم إن كنتما السائلين...وليس هذا من المبالغة الحلوة، وعلّق على بيت مسلم بن الوليد الذي نحن بصدده قائلا " وهذا من صفات الكرام الشجعان " وعقّب على قول زهير أو بكر بقوله : " هذا مذهب حسن ومبالغة مليحة...وإطلاق اللفظ في قول مسلم إنه يجود بنفسه في المكارم والمعالي واكتساب الشكر وبقاء الذكر أحسن من قول أبي الطيب " يكاد..."٣"**

**ثم إن لفظة " يكاد " وإن كانت قربت المبالغة من الصحة، إلا أنها أبعدت انقسام الممدوح شطرين.**

---

١ –البيت في خزانة الأدب للحموي ٢/٢٣٦.

٢ – في شرح الديوان ١/١٣٨.

٣– المنصف للسارق والمسروق منه ١/٧٩.

**وكان بكر بن النطاح أحسن منه تحقيقا لانقسام الممدوح شطرين، شطر له وشطر لمن يرجوه يقول : "١"**

**ولو خذلَتْ أموالُه فيضَ كفِّه ☆☆☆ لقاسم من يرجوه شطْرَ حياته**

**قال ابن عبد ربه : " هذا أفرط ما قيل في الجود مع الإقلال"٢"**

**فتجد أن بكرا أكد على فكرة إعطاء الممدوح مرتجيه شطر حياته، أما المتنبي فقد خانه التعبير، ثم إن الشاعرين المتنبي وبكرا لم يتحريا الدقة حين عبّرا بالانقسام والتشطير، فعبارة المتنبي " ينقسم " وعبارة المتنبي " شطر " وهما لا يدلان لغة على المناصفة، فيجوز أن يعطي للممدوح شطرا أقل من الشطر المتبقي لنفسه، والانقسام كذلك، فليس بلازم أن يكون القسمان متناصفين، ولو عبّرا بالنصف لكان أدق، وكان في إمكان بكر بن النطاح أن**

---

[١] – قبله :

أقول لمرتاد الندى عند مالك تمسّك بجدوى مالك وصلاته

فتى جعل الدنيا وفاء لعرضه فأسدى بها المعروف قبل عداته

وبعده :

وإن لم يجز في العمر قسم لمالك وجاز له أعطاه من حسناته

وجاد بها من غير كفر بربه وأشرك في صومه وصلاته

الأبيات في العقد الفريد ١/١٩٨.

[٢] – العقد ١/ ١٩٨.

**يقول : " لقاسم من يرجوه نصف حياته " ونصف كشطر وزنا، وهي تعني المناصفة، يقال : " انتصفت منه أي أخذت حقي كاملا منه حتى صرت وإياه على النصف سواء، أما الشطر فليس بلازم دلالته على المناصفة، يقال : " شاة شطور " أي : أن أحد ضرعيها أكبر من الآخر"[١]".**

* * *

[١] – المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني مادة "شطر" و"نصف "دار المعرفة بيروت لبنان.

# المبحث الثاني عشر

## الجود مذهبة للآمال مجلبة لثناء الزمان

**وما زال المبدعون من الشعراء يشقون للتعبير عن الكرم طرقا، ويبتكرون له أفقا، فنرى أحدهم يتسخط على إحسان المحسنين، ويستقل عطايا الواهبين ؛ لأن عطية ممدوحه فاقت كل عطايا، فاستصغر ما دونها، ونرى الثاني يعيش في الدنيا من غير أمل ؛ لأن جود الممدوح قضى له كل لباناته، وحقق له كل حاجاته، ونرى الثالث يقول إن الممدوح ملأ دنيا الناس بالعطايا فأثنوا عليه بما يستحق، ولو سكتوا ما سكتت الأزمان.**

**يقول أولهم"[١]" :**

**أفسدتني بالجودِ إذ أصلحتني ☆☆☆ فتركتني أتسخطُ الإحسانا**

**من جادَ بعدك كانَ جودك فوقه ☆☆☆ لم أرضَ غيركَ كائناً من كانا**

**ويقول ثانيهم"[٢]" :**

**لمْ يُبْقِ جُودُكَ لِي شيئاً أُؤَمِّلُه ☆☆☆ تَرَكْتَنِي أَصَحبُ الدُّنيا بِلَا أَمَلِ**

---

[١] –البيتان في البديع في نقد الشعر لابن منقذ ٢/٢٣٦.

[٢] –البيت في خزانة الأدب للحموي ١/٢٤٣، ونفح الطيب ٣/٤١١.

**ويقول ثالثهم :**

**وهو نصيب في سليمان بن عبد الملك"[١]" :**

**فَعَاجُوا، فأثْنَوْا بِالَّذِي أنتَ أهْلُهُ ☆☆☆ وَلَو سَكَتُوا أثْنَتْ عليكَ الحَقَائِبُ**

**والمتأمل في الأبيات يجد أن الكرم عند نصيب فاق كرم الشاعرين السابقين ؛ لأن كرم ممدوحه كان عاما شاملا للناس، فعمّ جوده البلاد والعباد، حتى أثنوا عليه ثناء يليق بكرمه، ولو فترت عزائم الناس في الثناء للهجت به الأحقاب والعصور، والأزمان والدهور.**

**أما الكرم عند السابقين فكان كرما خاصا أصاب الشاعر فقط، واقرأ عند الأول " أفسدتني...أصلحتني... فتركتني...واقرأ عند الثاني "أؤمله...تركتني...وحصر كرم الممدوح في شخص واحد تضييق له، وتقليل منه.**

**واستطاع نصيب أن يستخدم من الأدوات، ويوظف من التعبيرات، ما ينهض بمعناه، وتأمل دلالة الفاء في " فأثنوا " وهي تفيد الترتيب والتعقيب، وهذا يكشف عن أن الناس بمجرد رؤيتهم للممدوح أثنوا ثناء مباشرا بلا مهلة، اعترافا منهم بفضله، وإقرارا بإحسانه، وليس ثناء عاديا، بل ثناء مفخّما يليق بجلال عطاياه، وقد دل الاسم الموصول " الذي أنت أهله " على هذا التفخيم.**

---

[١] –البيت في الشعر والشعراء لابن قتيبة ٣٩٩/١ – دار الحديث، القاهرة ١٤٢٣ هـ.

**وثناء الحقائب – وهي غير عاقلة – دلالة على أن كرمه زاد وفاض، وتعدّى غير العباد، فأثنت هي الأخرى عليه؛استشعارا لجوده وإحسانه، وقد أعجب ثعلب بهذا البيت وجعله من الأبيات التي فيها إفراط في الإغراق "١"**

**ويبلغ الكرم منتهاه، والسخاء أقصاه حين يعرض الشاعر مظاهر كرمه من إيقاد النار ؛ لتهتدي بها الضيفان، وإلف كلبه لهم، يقول ابن هرمة"[٢]:**

**ويدلُّ ضيفي في الظلام على القِرى ☆☆☆ إشراقُ ناري أو نباحُ كلابي**

**حتى إذا واجَهْنهُ ولقِينَهُ ☆☆☆ حيّينَه ببصابص الأذنابِ**

**فتكادُ من عِرفانِ ما قد عُوِّدتْ ☆☆☆ من ذاك أن يُفْصِحْن بالتِّرحابِ**

**فتجد الشاعر رصد بعض مظاهر كرمه، من إيقاد النار في الليل، ومن نباح كلابه ؛ ليكون النباح دليلا للضيفان، وصاغ الشاعر معنى الدلالة في لفظ المضارع " ويدل " إشارة إلى استمراريته، وأن هذا عمل متجدد لا ينقطع.**

---

[١] – قواعد الشعر ٣/١.

[٢] – الأبيات في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى : شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

**وفي تقديم المفعول به "ضيفي " على الفاعل " إشراق ناري أو نباح كلابي "دلالة على الاهتمام به والحرص عليه، فهو المقصود من التعبير.**

**وفي جمع الكلاب " كلابي " تكثير لها ؛ إشارة إلى كثرة النباح حتى تلفت الضيفان إلى موقع الكريم، فإذا رأت الضيف حركت الكلاب أذنابها إلفا واستئناسا، وهو تعبير كنائي يدل على كرم الممدوح، ومن شدة إلف الكلاب للضيوف وكثرة تكرار ما يشاهدنه تكاد تفصح بالتحية والترحاب فرحا واستبشارا، وكأن الكرم انتقل من الممدوح إلى الكلاب مبالغة في كرم الشاعر.**

**والكلاب هنا أكرم من كلاب حسان في مدح آل جفنة يقول"١" :**

**لله درّ عصابةٍ نادمتهم ☆☆☆ يَوْمًا بجلّق فِي الزَّمَان الأوّلِ**

**يغشون حتّى مَا تَهرَّ كلابُهم ☆☆☆ لَا يسْأَلُون عَن السّواد الْمقبلِ**

**فعدم هرير الكلاب في بيت حسان كناية عن كرم صاحبها ؛ لشدة إلفهم للضيوف، أما نباح الكلاب في الأبيات الأولى نباح من أجل هداية طُرّاق الليل، فإذا ما جاؤوها هشّت وبشّت وبصبصت وكادت تحّييهم وترحب بهم، وهذا في مجالات الكرم أحسن من السكوت وعدم الهرير الموجود في بيت حسان، جاء في العقد الفريد : " أن حماد الراوية لم يعجبه بيت حسان، وقال : " ما يعرف هذا إلا في**

---

[١] –الأبيات في ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه ١٢٢،١٢٣ ت /د /حسن حنفي، وحسن كامل الصيرفي الهيئة المصرية العامة للكتاب / ١٤٧٤.

**كلاب الحانات "١ " ووصفه ابن سلام بأنه من الشعر الرائع الجيد "٢ "**

**وفي لفظة " إشراق ناري " في الأبيات الثلاثة الأول إيحاء بأن قرى الكريم حياة للناس، وأنس ودفء لهم، وبهجة تسرهم وتبعث فيهم الأمل البهيج، لأن هذه المعاني موجودة في الشروق، وكان الشاعر حصيفا حين نصّ على ذكر القرى، وإسناد الضيف له " ضيفي " وهذا أنس للضيف.**

**ومن ثمّ كان الشاعر هنا أكرم من ممدوح الحطيئة في قوله"٣ :**

**متى تأتهِ تعشُو إلى ضوءِ نارِه ☆☆☆ تجدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ موقدِ**

**فعند الحطيئة " ضوء نار " وعند السابق " إشراق نار " و "شتان ما بين الضوء والإشراق" فالضوء ما كان من ذات الشيء المضيء"٤" ويقال أشرقت الشمس أي أضاءت، إلا أن الإضاءة تكون مع الارتفاع "٥".**

**وعلى هذا فالضوء في البيت يشير إلى ارتفاع النار وتوهجها دلالة على كرم صاحبها.**

---

[١] – العقد ١٧٨/٦.

[٢] – طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ٢٩/١.

[٣] – الديوان ٥١.

[٤] –الفروق اللغوية ٣٢٣.

[٥] – لسان العرب مادة " شرق ".

**وخيرية النار وخيرية الموقد ليس فيهما نص صريح على الكرم الواصل، والجود الحاصل، نعم فيهما إشارة إلى هذا، لكن العبارة في هذه المقامات أبلغ من الإشارة، والتصريح أحسن من التلميح.**

**ولفظة " تعشو"عند الحطيئة لفظة حسنة، فهي تعلي من الكرم، لأن العشو هو قصد النار ليلا، أو الاستضاءة بضوئها في أول الليل – كما ذكر ابن منظور– ومنها: " عشوت إلى النار عشوا إذا استدللت عليها ببصر ضعيف١، فصاحب اللسان نظر في المعنى الثاني إلى لفظ "العشا" وهو ضعف البصر ليلا٢، أو بتعبير ثعلب" أي تنظر نظرا ضعيفا بغير تثبت٣.**

**وإذا كان صاحب البصر الضعيف يرى النار، ففي هذا دلالة على عظم هذه النار، وقوة اشتعالها، وهذا ينبئ عن الكرم البالغ، أما البخيل فناره ضعيفة، أو لا نار له كما قال جرير هاجيا"٤" :**

**قومٌ إذا استنبحَ الأضيافَ كلبُهم ☆☆☆ قالوا لأمهم بولي على النارِ**

**وعلى هذا تكون كلمة " تعشو " مادحة، ويحتمل أن تكون قادحة، إذا راعينا قول القالي في الآمالي :" يقال عشوت إلى النار إذا**

---

[١] – اللسان مادة " عشا ".

[٢] – السابق.

[٣] – مجالس ثعلب ٧٩/١.

[٤] –البيت في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ١٧٥/١ دار الجيل –بيروت.

**أحددت نظرك إليها "١ "ومعنى هذا أن لو لم يحدّ بصره إلى النار ما رآها ؛ دلالة على ضعفها، وضعف النار قادح في الكرم.**

**وخيرية النار والموقد أعلت من شأن البيت؛ لدرجة أن سيدنا عمر ابن الخطاب ، وكان ذواقة ناقدا وقف عند هذه المبالغة ، وقال حين سمع البيت : " كذب، بل تلك نار موسى نبي الله صلى الله عليه وسلم "٢ ".**

**وروي أن عبد الله بن عمر سمع هذا البيت فقال " ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إعجابا بالبيت، يعني أن مثل هذا المدح لا يستحقه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم "٣ "وهذا يدل على إعجاب الصحابيين الكريمين بالبيت، وأن هذا المدح لا يستحقه إلا النبيّان الكريمان صلوات الله وسلامه عليهما وعلى أنبياء الله جميعا.**

**وقبل بيت الحطيئة السابق بيت رائع قوله :**

**كسوبٌ ومتلافٌ إذا ما سألتَهُ ☆☆☆ تهَلَّلَ واهْتَزَّ اهتزازَ المُهَنَّدِ**

**قال ابن رشيق معلقا على البيتين :**

---

[١] – الأمالي لأبي علي القالي البغدادي ١١٦/١ دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٢٣/٢٠٠٢م.

[٢] – الأغاني ١٧٤/١.

[٣] – العقد الفريد ١٢٠/٦.

**" تصرف في أبياته هذه في أصناف المديح، وأتى بجماع الوصف وجملة المدح على سبيل الاقتصاد في البيت الأخير "١ "**

* * *

[١] – العمدة ٢ / ٨١٠، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر ٧٩ ت / كمال مصطفى ط٣ والتعبير عنده " على سبيل الاختصار..."

# المبحث الثالث عشر

## عـــــــــدوى الكـــــــــرم

**وتـأتي النـادرة والبـاترة فـي الكـرم ليصـوغها ابـن الخيـاط فـي أسـلوب رقيـق، وتعبيـر أنيـق، غيـر منفعـل بأحـداث يـذكرها، أو وقـائع يرصـدها، بـل أضـرب صـفحا عـن ذكـر مظـاهر الكـرم إلـى تعبيـر أبلـغ وأوقع، فيقول"[١] ":**

**لمسْتُ بكفّي كفَّهُ أبتغي الغِنى ☆☆☆ ولم أدرِ أنّ الجودَ من كفِّه يُعدي**

**فلا أنا منهُ ما أفادَ ذوو الغِنى ☆☆☆ أفدْتُ، وأعْداني فأتلَفْتُ ما عندي**

**نسـب القاضـي الجرجـاني هـذا البيـت لابـن الخيـاط "٢ "، وذكـر أبياتا تتفق معه في معناه، كقول أبي تمام :**

**علّمني جودُك السّماحَ فما☆☆☆ أبقيْتُ شيئاً لديّ من صلَتِكْ**

**وكقول الآخر:**

**لستُ أُضحي مصافحاً لسلام ☆☆☆إنني إن فعلتُ أتلَفْتُ مالي**

**لكن شتان بن قول ابن الخياط والأقوال الأخرى.**

---

[١] – البيتان في عيون الأخبار لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري١/٤٦٧: دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤١٨ هـ.

٢ في الوساطة ٢٣٢.

ذكر شارح ديوان المتنبي أن المصراع الأول من قول المتنبي :

**أعْدى الزمنَ سخاوُهُ فسخا به ☆☆☆ ولقد يكون بهِ الزمانُ بخيلا**

مأخوذ من قول ابن الخياط، وذكر القاضي الجرجاني"١ أن الشطر الثاني مأخوذ من قول أبي تمام :

**هيْهاتَ لا يأتي الزمانُ بمثلِه☆☆☆ إنّ الزمانَ بمثلِه لبَخيلُ**

لكن الكرم عند ابن الخياط أوسع ؛ لأن لفظ " يعدي " لفظ مطلق، فلم يذكر الشاعر له مفعولا تعميما لمعنى الكرم، أما الكرم عند المتنبي فضيق، لأن المتنبي قيده بالمفعول به وهو الزمان، فالعدوى انتقلت إلى الزمان فقط، أما عند ابن الخياط فعامة، وهذا أبين في مجالات الكرم.

ثم إن بيت المتنبي فيه شيء من الثقل، قد يكون هذا ناجما عن الجناس الاشتقاقي بين "سخاؤه "وسخا ".

وأراد المتنبي أن يبالغ في سخاء الممدوح فوصف الزمان بالبخل إذا ما قيس بسخاء الممدوح، فأُتي من حيث لم يحتسب، فقدح في سخاء الممدوح وهو لا يدري ؛ لأن عدوى الممدوح للزمان لم تؤت جدواها، وأكد المتنبي هذا البخل باللام وحرف قد " ولقد يكون به الزمان بخيلا " وكان في استطاعة المتنبي أن ينحّي عن ممدوحه هذه الشائبة ولا يقارن بين سخاء المعدِي والمعدَى.

---

١ الوساطة ٢٢٣.

**وقد نال بيت ابن الخياط إعجاب عمرو بن العلاء حين سئل من أمدح الناس ؟ قال : الذي يقول : " لمست بكفي كفه..."١".**

**وقد عدّ ابن أبي الإصبع بيتي ابن الخياط من الابتداءات الحسنة، وفيها ما فيها من براعة الاستهلال "٢".**

**فتجد أن ابن الخياط كشف عن الكرم في أسلوب مؤكد " أن الجود...لما أحس أن الفكرة التي ساقها فيها شيء من الغربة التي قد تتوقف عندها النفس، فلجأ إليه ليزيل ما عسى يعلق بالنفس من شوائب التردد، وهواجس التشكك.**

**وهذا الأسلوب المؤكد تجريدي خال من التصوير الذي قد يلجأ إليه الشعراء مبالغة، إلا أن هذا البيت مع سلاسته ودماثته كان أكثر إقناعا، وأحسن إمتاعا من المبالغات المتكلفة، والتصويرات المتعسّفة.**

---

١ – راجع الأغاني ١/٢٩٠ .

٢ – تحرير التحبير ١٧٢.

ولك أن تقارن بين بيته هذا وبين أبيات الفرزدق المجلجلة المتشحة بتصوير متكلف، يقول"١":

**وَقَدْ عَلِمَ الجِيرانُ أنْ قُدورَنَا ☆☆☆ ضَوَامِنُ للأرْزَاقِ وَالرّيحُ زَفْزَفُ**

**نعجِّلُ للضيفان في المحْلِ بالقِرى ☆☆☆ قدورا بمَعبوطٍ تُمدّ وتُغرَف**

**تُفَرَّغُ في شِيزى كأنّ جِفَانَها ☆☆☆ حِيَاضُ جِبىً مِنْهَا مِلاءٌ وَنُصَّفُ**

**تَرَى حَوْلَهُنّ المُعْتَفِينَ، كَأَنّهُمْ ☆☆☆ على صَنَمٍ في الجاهِليّةِ عُكَّفُ**

فيذكر الفرزدق أن قدورهم ضوامن لأرزاق العباد، وأكد هذه الفكرة إقناعا، ولكنه جمح بعيدا، وتجاوز المعقول والمنقول، وخرج عن مألوف العادة فرفضت مبالغته.

فالميدان كان فسيحا أمامه للتعبير عن الكرم بأي مظهر من المظاهر التي ذكرت أو لم تذكر من الشعراء السابقين، أما أن يقول إن قدورهم تضمن للعباد أرزاقهم فهذا تعبير معلول، وغلو غير مقبول.

ثم إن الطعام يغرف من القدور في قصاع مأخوذة من شجر الأبنوس " في شيزى " وهي واسعة كحياض الماء ممتلئة بعضها، ومنصّفة بعضها الآخر، فترى العفاة يلتفون حول هذه

---

١ –الأبيات في ديوان الفرزدق ٣٨٨، ٢٨٩ ش/علي فاعور – دار الكتب العلمية / ط١ ١٤٠٧ – ١٩٨٧م، والزفزف : الريح الباردة الشديدة الهبوب، والمعبوط : هو الذبيح، والشيزى خشب أسود تصنع منه القصاع .

**القصاع كما يلتف الجاهليون حول صنم عاكفين، ولا أدري ما وجه التناسب بين القصاع والصنم ؟ وبين الآكلين والعابدين العاكفين ؟**

**فإن كان يقصد من التشبيه معنى التقديس فالوجه بعيد في الطعام، وإن كان يقصد المكث واللزوم فليس بكاشف عن الكرم المقصود، فما فائدة الالتفاف حول القصاع دون التهامها، فالعاكفون حول الأصنام يتمسحون بها تبركا، والآكلون يلتهمون تشوقا، فالبون بين الصورتين بعيد، وما أرى إلا التكلف الذي شان صورته، وشاب فكرته.**

* * *

# المبحث الرابع عشر

## البشاشة وبذل الروح

**قال زهير**[١]:

**تراهُ إذا مَا جِئْته متهللا☆☆☆ كأنَّك تعطيه الَّذي أنْت نائله**

**لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّه غَيْرُ رُوحِه ☆☆☆ لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ اللهَ سَائِلُهْ**

**مع قول المتنبي"**[٢] :

**تهلّل قبلَ تسليمي عليهِ☆☆☆ وألقى كيسَه قبلَ الوِسادا**

**وقول أبي الهندي"**[٣] :

**سألناه الجزيلَ فما تلكّا ☆☆☆ وأعطى فوقَ مُنيتنا وزادا**

**وأحسنَ ثم أحسنَ ثم عُدنا ☆☆☆ فأحسنَ ثم عدتُ له فعادا**

**مرارا ما قصدتُ إليه إلا ☆☆☆ تبسَّم ضاحكا وثنَى الوسادا**

**تأمل الأبيات تجد اشتراكا في المعاني، وقد تنافس الشعراء الثلاثة في طريقة سوقها، وحسن عرضها وصوغها،**

---

[١] – سبق في ص.

[٢] – شرح الديوان ١/١٣٠.

[٣] – البيت في عيون الأخبار ٣/١٠، والمصون في الأدب لأبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل العسكري ١/١٦٧ت: عبد السلام محمد هارون: مطبعة حكومة الكويت ط: الثانية، ١٩٨٤ م.

**فمعاني التهلل والإيناس والإكرام في العطاء معان دار حولها الشعراء الثلاثة.**

**لكن يلحظ أن عطاء زهير أبلغ وأكرم، وتهلله أحسن وأدوم، وجهة أبلغية قول زهير أنه يعطي الروح ويجود بها إن جاز أن تكون الروح في الكف، ولا شيء أنفس من بذل الروح ؛ لأنها الحياة، وهذا أعلى وأحسن من بيت المتنبي، لأن عطاء ممدوح المتنبي كيس، والكيس – كما ذكر ابن وكيع – لا يبلغ نهاية المدح بالجود ؛ لأنه قد يلقي كيسا ليس فيه ما يغني المعطَى، والبدْرة أولى من الكيس "١"**

**فأي العطاءين أسخى ؟عطاء الروح وهو النفيس، أم عطاء الكيس ؟**

**والعطاء عند أبي الهندي وإن كان متكررا إلا أنه لا يبلغ عطاء الروح، والعطاء عن أبي الهندي أزكى من العطاء عند المتنبي، ويعلل ابن وكيع ذلك بقوله :**

**" بأنه أعطاه فوق منيته، وذلك مما يتسع الظن في كثرته، وأنه عاوده دفعات، فكلامه يفيد معاني من كرمه يرجح بها على أبي الطيب "٢".**

---

[١] – المنصف للسارق والمسروق ٧١/١.

[٢] – المنصف ٤٣٩/١.

والتهلل وإن اشترك فيه الثلاثة إلا أنه عند زهير أعلى، وهذا مفهوم من طبيعة التعبير باسم الفاعل " متهللا " وهذا فيه إيناس للسائل أشد.

أما التهلل عد المتنبي وأبي الهندي فجاء بصيغة الماضي " تهلل " تبسم "والمعنى مع الفعل ليس كالمعنى مع الاسم ثبوتا ولزوما.

وكان زهير والمتنبي من البراعة بمكان حين قدّما التهلل على عطاء الممدوح ؛ لأن السائل حاجته أولا إلى الإيناس والإكرام،أقوى من حاجته إلى العطاء والإنعام.

وكان المتنبي بارعا أيضا حين ذكر الإيناس مرتين توسطهما العطاء، فبدأ بالتهلل وهو إيناس للسائل لا ينكر، ثم ثنّى بالعطاء " "وألقى كيسه " ثم ثلّث بالوساد وهذا تكريم ما بعده تكريم.

أما أبو الهندي فقدم العطاء أولا، ثم ثنّى بالتبسم والضحك، وكان الأكرم في الإعطاء العكس، لكنْ أبو الهندي كان يقظا حين عبر بقوله " وثنى الوسادا " أي أن الممدوح هو الذي هيأ الوسادة بنفسه للسائل ؛ زيادة في تكريمه، وهذا إعلاء م عطاء الممدوح.

أما المتنبي فضعّف ذلك حين عبر بالإلقاء " وألقى كيسه قبل الوساد" أي أن ممدوحه ألقى الوسادة، والإلقاء رمي وطرح، وهذا ليس فيه تكريم للسائل، إن لم يكن إهانة له.

**وعلى كل فالفعل " ألقى " أدق من " رمى " لأن الإلقاء طرحك الشيء حيث تراه "١، وهذا يدل على أن الممدوح يلقي الوسادة في مكان محدد معروف ليجلس فيه السائل، أما الفعل " رمى " فطرح من غير تحديد للجهة.**

**وكان أبو الهندي حصيفا بذكره قيد الحال " ضاحكا " دفعا لتوهم يقدح في عطاء الممدوح ؛ لأنه لو اكتفى بالتبسم ما وفّى العطاء حقه ؛ لأن التبسم قد يكون عن استهزاء كما قال المتنبي٢:**

**وإذا رأيتَ نيوبَ الليثِ بارزةً *** فلا تظننَّ أن الليثَ يبتسمُ**

**ويقال: " تبسم تبسم المستهزئ، ومن ثم ندرك دقة القرآن الكريم حين قال " فتبسم ضاحكا من قولها " فالتعبير بالضحك هنا فيه زيادة تأنيس للنملة.**

**وكانت صياغات أبي الهندي صياغات رائعة كشفت عن كرم الممدوح فالفعل "سألناه " مسند إلى ضمير الجمع، وهذا يكشف عن كثرة السائلين، ولم يسألوه أي مال، بل سألوه الجزيل، ووصفه بالسرعة في العطاء، ونفى عنه التريث الذي يقدح في الكريم " فما تلكأ "وأعطاهم فوق أمانيهم، وزاد عليها كرما وجودا.**

---

[١] – الفروق اللغوية ٨٨.

[٢] – في الديوان ٣٣٢ دار بيروت ١٤٠٣– ١٩٨٣م.

وفي تكرار أفعال الحسن والعودة ما يؤكد على معاودة السائلين له، وكثرة سؤالهم إياه، وفي كل مرة يعطيهم الأحسن الجميل، والفضل الجزيل، ودلالة ثم المتكررة في قوله: " ثم أحسن...ثم عدنا... ثم عدت ما يدل على تراخي عودة السائلين، وأنهم يقصدونه على فترات غير متقاربة كلما اقتضت حاجتهم للعطاء، وتأتي الفاء مكررة في قوله " فأحسن... فعادا...لتدل على معنى التعقيب، أي أن عطاءه يعقب سؤالهم من غير تريث.

ويؤكد أبو الهندي ويلح على كثرة معاودته للممدوح، فقدم لفظة " مرارا " على الفعل " قصدت " تأكيدا على ذلك، ويوظف أسلوب النفي والاستثناء ؛ ليكشف عن اختصاص مرات قصده ومعاودته على التبسم والضحك، فما من مرة يسأله إلا وكانت عادته التهلل والإشراق إيناسا للسائلين.

وقد زاد المتنبي على الاثنين، وذكر أن ممدوحه يعطي من غير سؤال، وهذا أبلغ في الكرم، أما زهير وأبو الهندي فنصّا على سؤال المعتاف.

ويبدو أن المتنبي قد أدرك قيمة هذا وجعله طريقا لاحبا، ومنهجا قاصدا في مدحه، فنراه يقول"١" :

**يُعْطيكَ مُبْتدئاً فإنْ أعْجلتَهُ ☆☆☆ أعْطاكَ مُعْتذراً كَمنْ قَدْ أجرَما**

---

١ –الديوان ١٥ السابق.

**يقول : إن ممدوحه يسلك في عطائه مسلك البدار، وقد وضع الإمام عبد القاهر بيت المتنبي هذا وبيت أبي تمام :**

**أخو أزماتٍ بَذْلهُ بَذْلُ مُحْسنٍ ☆☆☆إليها. ولكنْ عُذْرهُ عذْرُ مُذنبِ**

**في قرن واحد، وجعلهما من الشواهد التي اتحد فيها المعنى واختلف فيها اللفظ "١ وقد وازنت بين هذين البيتين في دراسة سابقة وذكرت موازنة ابن وكيع بين هذين البيتين وبين بيت أبي الصمد بن المعزل:**

**يُعطيكَ فَوْقَ المنى من فَضل نائلهِ... وَليس يُعطيك إلاّ وهو مُعْتذرُ"٢"**

**فيلحظ أن المنهج الأقصد في العطاء هو الإعطاء قبل السؤال، وعليه سار أبو تما م أيضا في قوله :**

**ورأيتني فَسَألت نَفسك سيبها☆☆☆ لي ثمَّ جدت وَمَا انتظرت سُؤَالِي**

**والبيت فيه مدح وقدح، المدح يكشف عنه حرف الفاء " ورأيتني فسألت " فالفاء تدل على أن الممدوح بمجرد أن رأى السائل سأل نفسه العطاء مباشرة من غير توقف، وهذا جيد.**

---

[١] – يراجع دلائل الإعجاز ٨٤٩.

[٢] يراجع " الشواهد الجرجانية في المعنى المتحد واللفظ المتعدد من كتاب دلائل الإعجاز دراسة تحليلية موازنة للقسم الأول، د / محمد محمود البهلول ١٠٩٥ مستله من حولية كلية اللغة العربية بالقاهرة – العدد الخامس والعشرون.

**والقدح كشفت عنه لفظة " ثم " التي تفيد التراخي " ثم جدت " وتراخي الممدوح بعد أن طلب من نفسه الجود يقدح في كرمه، ثم إن سؤال الممدح نفسه سيبها يقدح هو الآخر في الكرم، فالكريم يجود مباشرة برؤيته للمعتاف، ولا يلجأ إلى سؤال نفسه، ومن طبيعة النفس البشرية أن تكون أمارة بالتقتير ؛ خوفا من التبذير، فهذه قادحة في بيت أبي تمام.**

**وعلى المنهج نفسه سار النمري في قوله"١" :**

**رأيت المصطفى الهارون يُعطي ☆☆☆ عطاءً ليس ينتظرُ السؤالَ**

**والتعبير بالمضارع " يعطي " يدل على تجدد العطاء كلما تجددت رؤيته للعفاة، والتأكيد بالمصدر " عطاء " يكشف عن تحقيق العطاء الذي يكون من غير سؤال.**

**وسلك هذا المسلك الرشيد، والمنهج السديد سلم الخاسر في قوله"٢:**

**أعطاك قبلَ سؤالِه ☆☆☆ فكفاك مكروهَ السؤالْ**

**نعم إن للسؤال ثقلا، وللطلب مرارة، فالكريم الحق هو الذي يحفظ ماء وجه، لا يلجئه إلى السؤال.**

---

[١] – البيت في الموازنة بين أبي تمام والبحتري لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي ١-٩٦: تحقيق / السيد أحمد صقر/ دار المعارف – ط الرابعة.

[٢] – نفسه.

**قال سعيد بن العاص :" قبّح الله المعروف إن لم يكن ابتداء من غير مسألة "١" قال أبو تمام"٢" :**

**عطاؤك لَا يفنى ويستغرق المنى ☆☆☆ وَتبقى وُجُوه الراغبين بِمَائِهَا**

**فإعجال السؤال يوقع الكريم في ورطة الاعتذار، واعتذاره بعد الإعجال إما لأن تريثه أحوج إلى المسألة، أو يعتذر لقلة ما حضره من العطاء، وقد ساق ابن وكيع حادثة من أن شاعرا أعجل الأمير عبد الله بن طاهر ن فدفع غليه ما أمكنه أن يجود به، وكتب إليه :**

**أعجلتنا فأتاكَ عاجلُ برّنا ☆☆☆ قلاًّ، وإنْ أمهلتَنا لمْ يَقْلِ**

**فَخُذ القليلَ وكنْ كأنَّك لمْ تَسلْ ☆☆☆ وَنكون نَحْن كأنَّنا لمْ نَفْعَلِ"٣"**

**لله درك يا بن طاهر ! وما أحسن اعتذارك! وما أرقّ تعبيرك، وأجمل صياغتك !فهو وإن كان أعطى القليل مما حضره، فالجود بالموجود " فاتقوا الله ما استطعتم " ولو لم يقع من الطالب إعجال، وجاد السائل على الكريم بالإمهال، ما وقع من الممدوح إقلال، وما أجمل اعتذاره " فخذ القليل وكن كأنك لم تسل " وما أحسن الممدوح حين يجنّب طالبه السؤال، وما أحسنه حين يعطي ويتناسى العطاء " ونكون نحن كأننا لم نفعل "**

* * *

---

١ – العقد الفريد ١٩٨/١.

٢ –العقد الفريد ١٩٩/١.

٣ – المنصف لابن وكيع التنيسي ١١٨، ١١٩.

# المبحث الخامس عشر

## شكوى المطايا من الكريم

**ويتناهي الكرم ويصل إلى غايته في صورة مكثّفة في قول أبي العتاهية في مدح عمرو بن العلاء"[١] :**

**إنِّي أمِنتُ من الزمانِ وصَرْفه *** لما علِقتُ من الأميرِ حبالا**

**لو يستطيعُ الناسُ من إجلاله *** جعلوا له حُرَّ الوجوهِ نعالا**

**إن المطايا تشتكيكَ لأنَّها *** قطعتَ إليك سباسبا ورمالا**

**فإذا وردنَ بنا وردنَ خفائفا *** وإذ صدرْن بنا صدرْن ثقالا**

**تجد أبا العتاهية كثّف من عطايا الممدوح وعددها بحيث لا يمتري أحد في كرمه، منها :**

**أن الذي يصل حباله بالممدوح يأمن من صروف الزمان، والناس من عظم إجلالهم له لو استطاعت أن تجعل وجوهها نعالا له لفعلت، وأن المطايا من كثرة سيرها إليه اشتكت، وأنها تأتيه خفافا وتعود ثقالا.**

**فتري الشاعر ذكر دلائل حسية، ووقائع ملموسة تكشف عن كرم الممدوح وجاءت صياغته لهذا الأمر كاشفة، وتأمل تجد أنه**

---

[١] – ديوان أبي العتاهية ٣٧٧ – دار صادر –بيروت ١٤٠٠/١٩٨٠م والرواية في الديوان " لحذوا له حر الوجوه نعالا ".

**استعمل أسلوب التأكيد في موضعين حين عبر عن أمنه من صروف الزمان، وحين كشف عن شكوى المطايا للممدوح.**

**ولما كانت الفكرتان غريبتين لجأ الشاعر إلى توكيدهما ؛ ليدفع عنهما الاستغراب، لتجدا طريقهما إلى النفوس.**

**وكان لأسلوب التقديم أثره في السياق، فقدم الجار والمجرور " من الأمير "على المفعول " حبالا " اهتماما بشأن الأمير ولفتا له إظهارا لقدره، وقدم " له " على المفعول " حر الوجوه " وقدم "" إليك " على المفعول أيضا " سباسبا " والتقديم في الموضعين يفيد الاختصاص، فالممدوح مخصوص بأن يجعل له الناس حر وجوههم نعالا، وأن المطايا تقطع الفلوات له لا لغيره، فهو كعبة القصاد، ومنهل الورّاد.**

**ووظف الشاعر أسلوب المقابلة في الكشف عن كرم الممدوح، فقابل بين " وردن خفائفا " و"صدرن ثقالا "وهي تكشف عن العطاء الكثير الذي يثقل ظهور المطايا، وأن ورود الإبل خفيفة وصدورها مثقلة أمر مقطوع به لا يعتريه شك، لذا استعمل الشاعر أداة " إذا " للإشارة إلى ذلك.**

**وهناك خصائص أخرى في البيت أسهمت مع الأساليب السابقة منها جمع " حبالا " وفي الجمع إشارة إلى كثرة الصلات، وتعدد العلاقات التي تؤنس العفاة القاصدين، وورود المطايا مجموعة إشارة إلى كثرتها، وفي ذلك دلالة على عظم كرم المقصود، وصياغة الشكوى بالمضارع دلالة على تجددها بتجدد ورودها.**

**وقد صرح عمرو بن العلاء باستحسانه لهذه الأبيات حين قال للشعراء المنشدين " إن أحدكم يأتينا ليمدحنا فيتغزل في قصيدته بخمسين بيتا، فما يبلغنا حتى يذهب رونق شعره، وقد تشبب أبو العتاهية بأبيات يسيرة ثم قال....وذكر الأبيات التي نحن بصددها "[١]**

* * *

[١] – المستطرف ٢٣٤/١

# المبحث السادس عشر

## الكـــــرم منهـــــــاج وشريعـــــــة

**قال أبو تمام[١]:**

**مَضَوْا وكأنَّ المَكْرُماتِ لَدَيْهِمُ ☆☆☆ لكَثْرَةِ مَا وَصَّوْا بِهِنَ شَرَائِعُ**

**وقوله أيضا"[٢]" :**

**جُودٌ تَدِينُ بِحُلْوِهِ وبِمُرِّهِ ☆☆☆ فَكأنَّهُ جُزْءٌ مِنَ التَّوْحِيدِ**

**وقول المتنبي في مدح سيف الدولة"[٣]":**

**كأنَّ سَخَاءَكَ الإسلامُ تَخْشَى ☆☆☆ إذا ما حُلْتَ عَاقِبَةَ ارْتِدَادِ**

**المتأمل في الأبيات الثلاثة يجد أن الشاعرين أبا تمام والمتنبي انتحيا منحى بعيدا عن منحى الشعراء السابقين، وتأنقا تأنقا كبيرا في إظهار كرم الممدوحين، ومع هذا التأنق نجد تفاوتا بينهما في التعبير والتصوير.**

---

[١] – الموازنة بين أبي تمام والبحتري: أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي ٩١/١ ت / السيد أحمد صقر/ دار المعارف – الطبعة الرابعة.

[٢] – شرح ديوان المتنبي لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين ٣٥٩/١ت: مصطفى السقا /إبراهيم الأبياري/ عبد الحفيظ شلبيت: دار المعرفة – بيروت.

[٣] –الديوان ٨٦.

الشاعران وظفا أسلوب التشبيه في إبراز صفة الكرم، لكن اختلفت طبيعته عند كل منهما، فالمشبه في بيتي أبي تمام " المكرمات " والجود " وفي بيت المتنبي " السخاء " والمكرمات أوسع دلالة منهما، فهي تشمل السخاء والجود وغيرهما من مكارم الأخلاق.

والمشبه به في بيتي أبي تمام " شرائع " وهي جع شريعة " وجزء من التوحيد "وفي بيت المتنبي " الإسلام " والشرائع أوسع معنى أيضا ؛ لأن الشرائع تشمل جميع الشرائع السماوية التي كلّف بها الأنبياء، وتشمل التوحيد والإسلام.

وعلى ذلك تكون صورة أبي تمام في البيت الأول أجود من الصورتين الأخريين، فهي تعكس كرما غزيرا، وسخاء فريدا لا يوجد له في البرية من نظير؛ لأن المكرمات لدى هؤلاء الممدوحين شرائع سماوية أوصوا بها قبل رحيلهم.

وهذا الإيصاء لم يكن مرة أو مرتين أو ثلاثًا...بل هو إيصاء كثير متكرر، وكان الشاعر فطنا حين نص على هذه الكثرة " لكثرة ما وصوا بهن شرائع " وهذا يعني شغف الممدوحين بالمكرمات، وتفانيهم في بقائها، وحرصهم على استمرارها.

لكن أبا تمام في بيته الثاني كان الكرم عنده أقل من الكرم في البيت الأول فقد شبه الكرم بجزء من التوحيد، وترك الكل، وذكر

**أنه يدين به في كل حالاته حلاوته ومرارته، لكن النص على المرارة، وترك الكلية إلى الجزئية مما يجعل الصورة أضيق من الأولى.**

**أما المتنبي "فأراد المبالغة في محافظته على جوده، فشبه رجوعه عنه برجوعه عن الإسلام في الدنيا عار، وفي الآخرة نار"[١]، وهذه صورة وإن كانت طريفة، إلا أنها لم تبلغ ما بلغته صورة أبي تمام في البيت الأول، فذكر الخشية في البيت يدل على عدم ثقة الشاعر برسوخ الكرم عند ممدوحه، فهو يخاف على الكريم أن يحول، ويخشى على الكرم أن يزول، وذكر الارتداد يضفي على الصورة قتامة واشمئزازا.**

**لكن يبقى هناك قاسم مشترك بين الأبيات الثلاثة، وهو الندرة في التصوير والطرافة في التعبير، والتأنق في العرض، والمبالغة في الصورة الذي جاءت بأداة " كأنّ " التي توهم باتحاد الطرفين وامتزاجهما.**

---

[١] – المآخذ على شُرّاح ديوان أبي الطَّيب المُتَنَبِّي: لأحمد بن علي بن معقل، أبو العباس، عز الدين الأزدي المُهَلَّبي ٦٧/١ ت: الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ط: الثانية، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

**وهذا الجانب من الطرافة والابتكار من الجوانب التي لم تحم حولها الشواهد السابقة.**

**ثم إن هناك شيئا آخر امتازت به هذه الصور، وهو أن التشبيهات فيها كانت للجود والسخاء، أما غالب التشبيهات السابقة فكانت للممدوحين، راجعها تجد صدق ذلك، وهذا ما فعله البحتري في قوله"[١] :**

**كالبدر أفرط في العلوّ وضوؤُه ☆☆☆ للعُصبة السارينِ جدٌّ قريبُ**

**وكالمتنبي في قوله"[٢]" :**

**كَالشَّمْسِ فِي كبد السَّمَاء وضوؤها ☆☆☆ يغشى الْبِلَاد مشارقاً ومغاربا**

**اتفق الشاعران في إلحاق المشبه بكوكبين من كواكب السماء، فعند البحتري " البدر " وهو يستمد ضوءه من الشمس، وعند المتنبي الشمس، وهي أكثر من البدر وجودا في الكون، وهي أطول بقاء واستمرارا.**

**ومن ثم فتشبيه المتنبي أحسن، ثم إن عبارة البحتري " أفرط في العلو " أثقلت البيت، هذا إذا عددناها من متممات المشبه**

---

[١] – الديوان ٢٤٩/٤.

[٢] – ديوان المتنبي ١١١ ت /عزام – دار بيروت ١٤٠٣/١٩٨٣م.

**بـه، وهـي كـذلك، فهـي لـم تضـف للمعنـى شـيئا ذا بـال، فالبـدر يسـبح في فلك معروف، ومدار مألوف، لا يحيد عنه ارتفاعا ولا انخفاضا.**

**والبحتـري ضـيّق المعنـى حـين جعـل ضـوء البـدر قريبـا للعصـبة السارين فقط، فهذا القيد كان عليه لا له.**

**أمـا المتنبـي فكـان دقيقـا فـي قيـده " فـي كبـد السـماء " وهـي عبـارة تـدل علـى ارتفـاع الممـدوح وسـموق شـأنه، ووسـع مـن جـوده وكرمـه بقولـه " يغشـى البلاد...كـل الـبلاد، والتعبيـر بالمضـارع يـدل على تجدد واستمرار العطاء والنوال.**

**والتعبيـر بالمشـارق والمغـارب والطبـاق بينهمـا ممـا يوسـع مـن كـرم الممـدوح، فسـخاوه فـي كـل مكـان، دائـم فـي كـل زمـان، ديمومـة الشـمس فـي الحيـاة، يغشـى العبـاد، ويحـيط الـبلاد مشـارقا ومغاربـا، وفي جمع الكلمتين دلالة على الكثرة.**

**فهـذان التشـبيهان كانـا للجـواد المعطـاء، أمـا التشـبيهات الثلاثة السابقة كانت للجود نفسه.**

وقد تأتي تعبيرات عن الكرم بأساليب مجردة خالية من التصوير، وتبلغ بالكرم منتهاه، وتصل به إلى غايته، كما فعل شوقي في مدحه النبي صلى الله عليه وسلم[١] :

**وإذا سخوتَ بلغتَ بالجود المدَى ☆☆☆ وفعلتَ ما لا تفعلُ الأنواءُ**

فالتعبير بإذا قطع بوقوع السخاء، وهذه دقة من الشاعر ملحوظة، والتعبير بالبلوغ "بلغت " دال على الانتهاء والوصول إلى قمة الجود وبلوغ المدى الذي ليس بعده مدى، والتعبير بما الموصولية والتقدير " وفعلت ما لا تفعل الأنواء " دال على تفخيم العطاء، وأنه سخاء لا يوصف، ولا يدرك كنهه، فالأنواء وهي رمز الجود والسخاء، إذ هي أساس الغيث الذي يغيث البلاد والعباد، فتخرج الأرض أقواتها، فيحيا بها الإنسان والحيوان، ومع ذلك لا تطاول الأنواء سخاء النبي صلى الله عليه وسلم الذي عمّت هدايته، وانتشر نوره في العالمين.

* * *

[١] – الشوقيات ٣٥/١ /دار العودة بيروت ١٩٨٨م.

# الخاتمـــــــــة

**الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.**

**فمن خلال هذه السياحة المباركة في رياض الشعر العربي استطاعت هذه الدراسة أن ترصد النتائج التالية:**

- **الكرم من أبرز شيم الخصال الحميدة التي عشقها العرب، فتغنوا بها في منظوم كلامهم، ولهجت ألسنتهم بمدح من ضرب في هذا المجال بسهم وافر.**
- **خلق الكرم لم يكن حكرا على عصر أو جيل معين، بل هو موجود في كل العصور على تفاوت في طبيعة الجود وكيفيته.**
- **تنوعت طرائق الشعراء في التعبير عن الكرم، وتفاوتت صورهم، وتعددت صياغتهم، فهناك أساليب تصويرية جمح فيه الخيال، وكان أداة قوية في نسجها، وهناك أساليب تجريدية لم تقل وقعا وأثرا عن الأساليب التصويرية في الكشف عن معاني الكرم.**
- **شاع أسلوب المبالغة في التعبير ن الكرم، وهذا أمر طبعي ؛ لأن الشعراء كانوا يحاولون أن يبلغوا بممدوحيهم القمة، فكان أسلوب المبالغة هو الأنسب لذلك.**
- **ابتكر الشعراء طرقا متعددة للتعبير عن الكرم، وكان أشدهم تكثيفا للمعاني من جاد ببذل روحه وشبابه وتشطير عمره للسائل، وعبادة الممدوح إن جاز ذلك، وقعودهم فوق الشمس عزا وسؤددا، وكان أعظمهم مبالغة من جعل الجود شرائع تتبع، وإسلاما يعتنق، وتوحيدا يدان به.**

- الكرم ليس محصورا في البذل والعطاء، بل قد يكون بتهلل الوجه للضيف، ومكالمته ومؤانسته.
- تنوعت مظاهر الكرم عند الشعراء تنوعا ملحوظا، فكان الشعراء يتبارون ويتنافسون في أن يكون ممدوحهم نسيج وحده كرما وجودا، فمنهم من يجود بروحه وشبابه وخيله وقت المعامع، ومنهم من يشاطر حياته لضيفه، ومنهم من يهبه كرى عينيه ولحافه وزاده، ومنهم من جعل الندى عبدا والممدوح سيدا، ومنهم من يجود بولده، وفيهم من دفن الجود مع الممدوح،...إلى آخر تلك الطرق التي نطقت بها شواهد البحث.
- مزج الشعراء بين الكرم والشجاعة، فالممدوح نسيج وحده كرما وشجاعة، ولا غرو فكلاهما جود، فالكرم جود بالمال، والشجاعة جود بالنفس، وهو أقصى غاية الجود، وهما " خلق الفتوة العربية " كما ذكر الأستاذ علي الجندي[١]
- هناك قاسم مشترك بين الشعراء في التعبير عن الكرم، فمظهر البحار والسحاب والأمطار مظاهر عامة، صاغ منها الشعراء صورهم، وبنوا عليها تعبيرهم، ومنهم من تفنن وابتكر صورا طريفة للإعلاء من شأن الممدوح.
- يلمح التشابه الواضح بين الشعراء في ذكر دواعي الكرم من تقلب الأمور وتبدل الأحوال، وذهاب العمر وفجأة الموت، وكاتفاقهم على أن الاعتذار وقت الإقلال منقصة وذم لا يتحملها الكرماء،

---

[١]- البلاغة الغنية علي الجندي ١٤٢

**وأن بقاء الذكر أزكى من بقاء المال، وفي شواهد البحث صدق ما قلت.**

- **تنوعت نظرة الشعراء في التعبير عن الكرم، فمنهم من عبر بتعبيرات مجردة أو مصورة دون أن يذكر وقائع ملموسة، أو شواهد محسوسة للممدوح، ومنهم من ساق هذه المشاهد إقناعا وتأثيرا.**
- **جاءت تعبيرات بعض الشعراء نصائح وتوجيهات، وحكما ومواعظ لفتا إلى الكرم وحثا عليه.**
- **أساليب الشعراء في التعبير عن الكرم جاءت مفوّفة بخصائص بلاغية، وسمات ودلالات تركيبية، وصور بيانية، وألوان بديعية كان لها أثرها في إظهار الفكرة.**

**وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.**

*  *  *

# مصـــــادر البحـــث ومراجعـــــه

١- أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني - ت / د / علي رمضان الحربي.

٢- الإيضاح مع البغية للشيخ عبد المتعال الصعيدي المطبعة النموذجية

٣- الأمالي لأبي علي القالي البغدادي دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٢٣/٢٠٠٢م.

والبديع في البديع لعبد الله بن المعتز : دار الجيل /الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٤- البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ ت /عبدا علي مهنا / دار الكتب العلمية / بيروت لبنان ط١ ١٤٠٧/ ١٩٨٧م.

٥- البلاغة الغنية علي الجندي مكتبة الأنجلو المصرية ط٢ ١٩٦٦.

٦- وتحرير التحبير لابن أبي الإصبع ت/د/حفني شرف / ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٤٢٦/ ١٩٨٥م.

٧- تفسير الرازي ٢٩٢/٣٢ دار إحياء التراث العربي –بيروت.

٨- ثمرات الأوراق في المحاضرات لابن حجة الحموي مكتبة الجمهورية العربية–مصر.

٩-جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ت /أحمد عبد السلام، وأبو هاجر محمد سعيد زغلول – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ط١ ١٤٠٨ – ١٩٨٨.

**١٠- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي ت / مؤسسة المعارف، بيروت.**

**١١- الحماسة لأبي تمام ت /د /عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان ١٤٠١/ ١٩٨١.**

**١٢- خاص الخاص للثعالبي ت حسن الأمين -دار مكتبة الحياة - بيروت/لبنان.**

**١٣- خزانة الأدب للحموي ت /عصام شعيو - دار مكتبة الهلال - بيروت لبنان ط١ ١٩٨٧.**

**١٤- دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني -ت - محمود شاكر - دار المدني ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.**

**١٥- ديوان أبي العتاهية دار صادر- بيروت ١٤٠٠/١٩٨٠م.**

**١٦- ديوان الزمخشري ت. عبد الستار ضيف مؤسسة المختار - ط الأولى١٤٢٥هـ.**

**١٧- ديوان أبي فراس / ش /د/ خليل النويهي - دار الكتاب العربي ٢٠٠٤م.**

**١٨- -ديوان أبي نواس دار صادر بيروت.**

**١٩- ديوان الإمام الشافعي/ إعداد محمد إبراهيم سليم - مكتبة ابن سينا.**

**٢٠- ديوان الإمام علي- ت -نعيم زرزور - دار الكب العلمية - بيروت لبنان -ط١ ٢٠٠٣هـ/١٤٢٣م.**

**٢١- ديوان البحتري ت/ حسن كامل الصيرفي ط٣ – دار المعارف.**

**٢٢- ديوان حاتم الطائي ٢١٠ – ت. د/ عادل سليمان الجمل – مطبعة المدني**

**٢٣- ديوان حافظ إبراهيم ٢ / ٧ – ت /احمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري – دار العودة.**

**٢٤- ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه ت /د /حسن حنفي، وحسن كامل الصيرفي الهيئة المصرية العامة للكتاب / ١٤٧٤.**

**٢٥- ديوان الحسين بن مطير جمع د/حسين عطوان.**

**٢٦- ديوان الحطيئة شرح أبي سعيد السكري – دار صادر بيروت ١٤٠١ / ١٩٨١.**

**٢٧- ديوان دعبل جمع د/عبد الكريم الأشتر – ط٢ دمشق ١٤٠٣/١٩٨٣م.**

**٢٨- ديوان الزمخشري ت /عبد الستار ضيف مؤسسة المختار – ط الأولى١٤٢٥هـ**

**٢٩- ديوان زهير شرج علي حسن فاتور – المكتب العلمي – بيروت لبنان ١٤٠٨ / ١٩٨٨م.**

**٣٠- ديوان صفي الدين الحلي– دار صادر – بيروت.**

**٣١- ديوان الفرزدق ش/علي فاعور – دار الكتب العلمية / ط١ ١٤٠٧ – ١٩٨٧م.**

**٣٢- ديوان المتنبي ش مصطفى سبيستي – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ط٢ ٢٠٠٣ / ١٤٢٤م.**

**٣٣- ديوان مسكين الدارمي / ت /كارين- صادر بيروت ٢٠٠٠،**

**٣٤- ديوان المعاني لأبي هلال العسكري: دار الجيل – بيروت، - شرح -٣٣**

**٣٥- ديوان النابغة الجعدي ت/ د. واضح عبد الصمد – دار صادر بيروت ط١ /١٩٨٩.**

**٣٦- ديوان النابغة الذبياني لحمدو طماس – دار المعرفة – بيروت – لبنان ط٢/ ١٤٢٦/٢٠٠٥م.**

**٣٧- شرح ديوان المتنبي لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين ٣٥٩/١ت: مصطفى السقا/إبراهيم الأبياري/عبد الحفيظ شلبيت: دار المعرفة – بيروت.**

**٣٨- شرح رياض الصالحين لابن عثيمين.**

**- شرح المعلقات السبع للزَّوْزَني: دار احياء التراث العربي الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.**

**٣٩- شروح التلخيص دار الكتب العلمية – بيروت -لبنان.**

**٣٩٤٠ - شمائل الرسول لابن كثير بدون.**

**٤٠- الشواهد الجرجانية في المعنى المتحد واللفظ المتعدد من كتاب دلائل الإعجاز دراسة تحليلية موازنة للقسم الأول، د / محمد محمود البهلول مستله من حولية كلية اللغة العربية بالقاهرة – العدد الخامس والعشرون.**

**الشوقيات /دار العودة بيروت ١٩٨٨م.**

**٤١- الصبح المنبي عن حيثية المتنبي للشيخ يوسف البديعي ت/ مجموعة من الاساتذة.**

**٤٢- الصناعتين لأبي هلال العسكري ت/ علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم : المكتبة العنصرية - بيروت**

**١٤١٩.**

**٤٣- الطراز للعلوي - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - ط١ ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.**

**٤٤- العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي / دار الكتب العلمية - بيروت ط الأولى، ١٤٠٤ هـ**

**٤٥- العمدة لابن رشيق القيرواني ت/د/النبوي شعلان - مكتبة الخانجي- ط١ ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م.**

**٤٦- علم البديع د/ عبد العزيز عتيق بدون.**

**٤٧- عيار الشعر لابن طباطبا، الحسني العلوي، أبو الحسن ت عبد العزيز بن ناصر المانع مكتبة الخانجي - القاهرة.**

**٤٨- عيون الأخبار لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري/ دار الكتب العلمية -بيروت: ١٤١٨ هـ**

**٤٩- - فتح الباري في شرح صحيح البخاري لأبي حجر العسقلاني.**

**٥٠- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري / ت /حسام الدين المقدسي.**

**٥١- - فقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي دار مكتبة الحياة- بيروت- لبنان.**

**٥٢- في البلاغة القرآنية د/ صباح عبيد دراز بدون.**

**٥٣- الاقتباس من القرآن والسنة للثعالبي -سلسلة الزخائر الهيئة العامة لقصور الثقافة.**

**٥٤- قواعد الشعر لثعلب ت: رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.**

**٥٥- الكامل في اللغة والأدب للمبرد /ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم / دار الفكر العربي القاهرة الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.**

**٥٦- الكشكول لمحمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمذاني ت/ محمد عبد الكريم النمري: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م**

**٥٧- لباب الآداب لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري/ دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م/ ت: أحمد حسن لبج.**

**٥٨- لسان العرب لابن منظور.**

**٥٩- المآخذ على شُرّاح ديوان أبي الطَّيب المُتَنَبِّي: لأحمد بن علي بن معقل، أبو العباس، عز الدين الأزدي المُهَلَّبي ت: الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ط: الثانية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.**

**٦٠- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير ت/ محمد محيي الدين عبد الحميد / المكتبة العصرية ١٤١١/١٩٩٠م.**

**٦١- ومجاني الأدب في حدائق العرب لرزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو - مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت١٩١٣ م.**

**مجمع الأمثال للميداني / ت / نعيم زرزور./ دار الكتب العلمية / بيروت لبنان ط٢ ٢٠٠٤هـ /١٤٢٥م.**

**محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى /شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠**

**٦٢- المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي- دار الكتب العلمية - بيروت لبنان ١١٤٠٣ / ١٩٨٣م/.**

**٦٣- المصون في الأدب لأبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل العسكري ت: عبد السلام محمد هارون: مطبعة حكومة الكويت ط: الثانية، ١٩٨٤م.**

**٦٤- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي ت: محمد محيي الدين عبد الحميد - عالم الكتب - بيروت.**

**٦٥- مفتاح العلوم للسكاكي /ت / نعيم زرزور دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.**

**٦٦- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني -دار المعرفة بيروت لبنان.**

**المنتحل لأبي منصور الثعالبي ت: الشيخ أحمد أبو علي: المطبعة التجارية – الإسكندرية الطبعة: ١٣١٩ هـ – ١٩٠١ م.**

**٦٧ – المنصف للسارق والمسروق لابن وكيع ت/ عمر خليفة بن إدريس /منشورات قار يونس /ط١ ١٩٩٤م.**

**٦٨– الموازنة بين أبي تمام والبحتري لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي/ تحقيق / السيد أحمد صقر/ دار المعارف – ط الرابعة.**

**٦٩– موسوعة الشعر الإسلامي جمع علي بن نايف الشحود.**

**٧٠– ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري التلمساني ت: إحسان عباس – دار صادر– بيروت – لبنان ص. ب ١٠.**

**٧١– نقد الشعر لقدامة بن جعفر ت/كمال مصطفى– مكتبة الخانجي ط٣.**

**٧٢– نقد الشعر لقدامة بن جعفر ت /د /محمد عبد المنعم خفاجي /دار الكتب العلمية / بيروت لبنان.**

**٧٣– النقد المنهجي عند العرب د/محمد مندور ط نهضة مصر.**

**٧٤– الوساطة بين المتنبي وخصومه ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم – علي محمد البجاوي– منشورات الكتب العلمية.**

* * *

# محتويات البحث

التمهيـــــد

المبحث الأول موازنة بين الإتلاف والإمساك

المبحث الثاني : البشاشة خير من الإعطاء

المبحث الثالث : الثناء والذكر الجميل مال مدّخر

المبحث الرابع : العبودية في الكرم

المبحث الخامس: سمو الممدوح على البحر والغيث في العطاء

المبحث السادس: سمو الممدوح على الشمس

المبحث السابع: الممدوح أصل الجود

المبحث الثامن لا زكاة في مال الكريم

المبحث التاسع: الجود مأخوذ من يميـن الممدوح

المبحث العاشـر: السخـاء علـى الأعـداء

المبحث الحادي عشر : عدم إلف الدراهم للصرّة

المبحث الثاني عشرالجود مذهبة للآمال مجلبة لثاء الزمان

المبحث الثالث عشر عـــدوى الكـرم

**المبحث الرابع عشر البشاشة وبذل الروح**

**المبحث الخامس عشر شكوى المطايا من الكريم**

**المبحث السادس عشر الكرم منهاج وشريعة**

**الخاتمة**

**مصادر البحث ومراجعه**

**محتويات البحث**